مورد الظمآن

في

علوم القرآن

تأليف

الشيخ صابر حسن محمد أبو سليمان

ناشر

الدار السلفية

١٣ محمد علي بلڈنگ بھنڈی بازار

بومبای ٣-٤٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مورد الظمآن

فى

علوم القرآن

تأليف

الشيخ صابر حسن محمد أبو سليمان

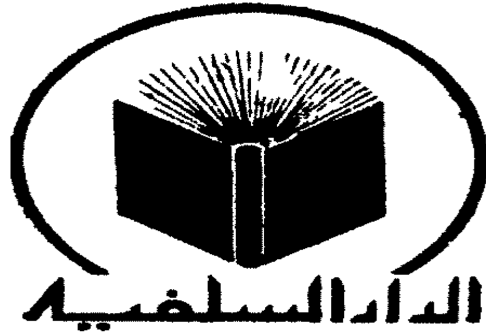
مدرس علوم القرآن بثانوية تحفيظ القرآن بالرياض

الناشر

الدار السلفية

١٣ - محمد على بلدنك ، بيندى بازار بومباى ٣ [الهند]

سلسلة مطبوعات الدار السلفيـــة رقم ٦٠



الطبعة الأولى

١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م

AL - DARUSSALAFIAH
13, Mohammed Ali Building,
Bhindi Bazar, BOMBAY - 400 003
(INDIA)

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . والصلاة و السلام على محمد بن عبد الله أفضل رسل الله و صحبه و أزواجه و ذريته وعلى كل من والاه . و بعد !

فقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم « خيركم من تعلم القرآن و علمه » وقد أنجز الله سبحانه و تعالى ما وعد به رسوله المصطفى من قوله « إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون » .

فقد وفق الله سبحانه و تعالى فى كل زمان ومكان من ارتضى من عباده لخدمة القرآن الكريم فقاموا وخدموا القرآن خدمات عظيمة ، فمنهم من حفظه وأتقن حفظه فهو يتلوه آناء الليل و آناء النهار ، و منهم من فسره وشرح غوامضه وكشف أسراره ، و منهم من صنف فى بيان اللهجات والقراءات ، ومنهم من بحث عن إعرابه وتركيبه العجيب ، و منهم من بحث عن الناحية البلاغية و الصناعية فى القرآن ، و منهم من استنبط الأحكام والفنون والعلوم منه ، ومنهم من صنف فى علومه المتنوعة .

وكل واحد حرص أن يكون ممن بشر له الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » فقام بما تيسر له من الخدمة لكتاب الله .

و إن الامام السيوطى رحمه الله وضع كتابه الجامع فى علوم القرآن المسمى « بالاتقان » فكل من جاء بعده استفـاد منه و إن كتابه من أحسن الكتب المؤلفة فى علوم القرآن و إن كان بحاجة إلى تخريج بعض الأحاديث وبيان درجته من الصحة والسقم . وممن أدلى دلوه فى خدمة الكتاب المكنون أخونا الفاضـــل الشيخ المقرى صابر حسن محمد أبو سليمان وفقه الله مدرس علوم القرآن بثانوية تحفيظ القرآن بالرياض .

فجمع فى كتابه المسمى بمورد الظمآن فى بيان علوم القرآن كل ما رآه نافعا وضروريا لطلبة وحملة القرآن وقد انتقى هذه البحوث من كتب جمة مؤلفة فى علوم القرآن وحاول ايصال الطلاب إلى معرفة علوم القرآن بطريقة سهلة ، جزاه الله خيرا .

و إن الدار السلفيـــة قد تعتز بطبع هذا الكتاب ونشره للاستفادة و هذا هو الكتاب الثانى فى علوم القرآن المطبوع من الدار السلفية وقد سبق أن نشرت الدار « كتاب التبصرة فى القراءات السبع لمكى بن أبى طالب ،

وقد أنشئت هذه الدار نشر الكتب النافعة للطلبة و أهل العلم و هى تحرص كل الحرص على طبع كتب سلفنا الصالح رحمهم الله وتتعاون مع الراغبين فى طبع الكتب النافعة .

والله نسأل أن يوفقنا لما يحب و يرضى و يجعل آخرتنا خيرا من الأولى.

وصلى الله وسلم و بارك على محمد وصحبه أجمين و الحمد لله رب العالمين ؟

مختار أحمد النـدوى   ٢١ جمادى الاول ١٤٠٤هـ

مدير الدار السلفيـــة بومباى   ٢٢ مارس ١٩٨٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

(المقـدمة)

الحمـــد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتـدى لولا ان هدانا الله . و أصلى و أسلم على صفوة الخلق نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين .

أما بعد !

فلما كانت حاجة أبنائنا طلاب الصف الاول الثانوى بمدرسة تحفيظ القرآن الكريم الثانوية ماسة الى تأليف كتاب فى - علوم القرآن يتناسب مع مداركهم ومستواهم الثقافى .

دفعنى ذلك الى تأليف كتابى هذا المسمى [الرائد فى علوم القرآن] حسب المنهج الذى أقرته وزارة المعارف مراعيا فيـــه وضوح العبارة وسبك اللفظ و جودة المعـــانى . عسى الله أن ينفع به أبنائنا طلاب القسم الثانوى و كل من نظر فيـــه بعين الانصاف و التقدير و الله أسأل أن يثيبنى عليه و أن يتقبله منى عملا خالصا لوجهـــه الكريم و ان يغفرلى و لوالدى ولمشايخى و لأصحاب الحقوق على . انه على ما يشاء قدير و بالاجابة جدير ونعم المولى و نعم النصير غفرانك ربنا و اليك المصير .

« علوم القرآن »

هذا اللفظ مركب إضافى و له جزءان : مضاف و هو « علوم » ومضاف إليه و هو « القرآن » .

و له معنيان : معنى باعتباره مركبا إضافيا . و معنى باعتباره علما .

أما المعنى الأول فيراد بكلمة علوم ـ و هو المضاف ـ كل علم يخدم القرآن الكريم ، و يتصل به ، و يستند إليه ، و ينتظم ذلك .

علم التفسير ، و علم أسباب النزول ، و علم إعجاز القرآن و علم الناسخ و المنسوخ ، و علم إعراب القرآن ، و علم القراءات ، وعلم عد الآى وفواصلها ، و علم الرسم العثمانى ، و علم الدين من فقه و توحيد وغيرهما و علم العربية من نحو و بلاغة وسواهما .

ويراد بكلمة « القرآن » ، و هو المضاف إليه ـ الكتاب المقدس المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم .

و أما المعنى الثانى فيراد به أن لفظ « علوم القرآن » نقل من هذا المعنى الاضافى و جعل علماً على الفن المدون ، و أصبح مدلوله علما غير مدلوله مركبا إضافيا .

ويمكن تعريفه علماً بأنه المباحث المتعلقة بالقرآن من ناحية مبدأ نزوله وكيفية هذا النزول ومكانه ومدته ، ومن ناحية جمعه وكتابته فى العصر النبوى وعهدى أبي بكر وعمر ، ومن ناحية إعجـازه ؛ وناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وأقسامه وأمثاله .

ومن ناحية ترتيب سوره وآياته ، وترتيله وأدائه إلى غير ذلك من النواحى .

وموضوع هذا العلم « القرآن الكريم » من النواحى المذكورة .

ولمعرفة هذا العلم فوائد عديدة نجمل أهمها فيما يلى :

الفائدة الأولى : إنه يساعد على فهم القرآن ، واستنبـاط الأحكام والآداب منه ويعرف الدارس له مبدأ نزوله ، وكيفية هذا النزول ومدته ، ويقف على نواحى إعجازه ، وعلى ناسخه ومنسوخه ، ومكيه ومدنيه ، ومحكمه ومتشابهه . وعلى ترتيب سوره وآياته ، وكيفية ترتيله وأدائه إلى غير ذلك .

الفائدة الثانية : إن الدارس لهذا العلم يتسلح بسلاح قوى يمكنه من دحض مفتريات أعداء القرآن ، وتفنيد مزاعمهم ، وإبطـال ترهاتهم ؛ وغير خاف أن الدفاع عن القرآن الكريم من أوجب الواجبـات على كل من يقدر عليه . ويجيد أساليبه وطرقه .

الفـائدة الثالثة : إن الدارس لهذا العلم يكون ذا حظ كبير ، وقسط وفير من الثقافة القرآنية ، وما اشتمل عليه القرآن من علوم ومعارف ممـا

يكون له أحسن الأثر فى إصلاح النفس ، وتربية الضمير ، وتهذيب الخلق .

والخلاصة : أن أبحاث هذا العلم الكثيرة القيمة يستعان بدراستها على فهم الكتاب العزيز ، والوقوف على شريف أسراره وكريم أهدافه ؟

المؤلف

صابر حسن محمد أبو سليمان

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« الوحى »

معنى الوحى فى اللغة :

الاعلام الخفى السريع الخاص بمن يوجه اليه بحيث يخفى على غيره، و يدخل تحت ذلك أنواع عديدة من الاعلام منها :

الالهام الغريزى ، كالوحى الى النحل فى قوله تعالى « و أوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا و من الشجر و مما يعرشون[1] »

الهام الخواطر ، بما يلقيه الله فى روع الانسان السليم الفطرة الطاهر الروح كالوحى الى أم موسى فى قوله تعالى « و أوحينا الى أم موسى أن أرضعيه[2] » .

وسوسة الشيطان و تزيينه خواطر الشر للانسان فى قوله تعالى « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس و الجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا[3] .

و وحى الله تبارك و تعالى الى أنبيائه قد روعى فيه المعنيان الاصليان

(١) سورة النحل رقم : ٦٨

(٢) سورة القصص رقم : ٦

(٣) سورة الأنعام رقم : ١١٢

لهذه المادة : وهما الخفاء والسرعة .

و معنى الوحى فى الشرع تكليم الله سبحانه واحدا من عباده بطريقة من طرق الوحى .

أنواعـــــه هى :

[١] تنزيل الكتب السماوية بواسطة ملك الوحى .

[٢] القاء المعنى فى قلب النبي أو نفثه فى روعه .

[٣] تكليم النبي من وراء حجاب .

[٤] هى التى متى أطلقت انصرفت الى ما يفهم عادة من لفظـــة « الايحاء » وقد صرحت الآية الكريمة بثلاثة أنواع من الوحى قال تعـالى « و ما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم[1] » .

طرقــه هى :

[١] أن يأتيه الملك فى مثل صلصلة الجرس

[٢] أن ينفث فى روعه الكلام نفثا .

[٣] أن يأتى فى صورة الرجل فيكلمه .

[٤] أن يأتيه الملك فى النوم .

[٥] أن يكلمه الله اما فى اليقظة أو فى النوم

(١) سورة الشورى رقم : ٥١

وعلى هذا النمط رسم النبي الكريم فيما صح من حديثه طريقة نزول الوحى على قلبه ، فقال : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى[1] وقد وعيت ما قال ، « وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول » .

فكشف النقاب صراحة عن صورتين من الوحى :

احداهما : عن طريق القاء القول الثقيل على قلبه ، ولديه يسمع صوتا متعاقبا متداركا كصوت الجرس المصلصل المجلجل ، وفى مسند أحمد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « سألت النبى صلى الله عليه وسلم ، هل تحس بالوحى ؟ فقال أسمع صلاصل ثم اسكت وعند ذلك « فما من مرة يوحى الى الا ظننت أن نفسى تقبض » . قال الخطابى : والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يثبته أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد . وقيل هو صوت خفق أجنحة الملك والحكمة فى تقدمه أن يفرغ سمعه للوحى فلا يبقى فيه مكانا لغيره وفى الصحيح أن هذه الحالة أشد حالات الوحى عليه وقيل انه انما كان ينزل هكذا اذا نزلت آية وعيد أو تهديد .

والثانية : عن طريق تمثل جبريل له بصورة انسان يشاكله فى المظهر ولا ينافره ، ويطمئنه بالقول ولا يرعبه ، وما من شك فى أن الصورة الاولى أشد وطأ وأثقل قولا ، كما قال الله تعالى « انا سنلقى عليك قولا

---

(١) ينكشف و ينجلى .

ثقيلا[1] ، حتى كان يصحب الوحى فيها رشح الجبين عرقا ، كما قالت السيدة عائشة أم المؤمنين « ولقد رأيتـه ينزل عليـــه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنـــه و ان جبينه ليتفصد عرقا » .

بل كانت وطأة الوحى فى هذه الصورة تبلغ أحيانا من الشدة والثقل حدا يجعل « راحلته تبرك به الى الارض اذا كان راكبها ولقـد جاءه مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت ، فثقلت عليه حتى كادت ترضها » .

أما الصورة الثانية فهى أخف وطأ وألطف وقعا ، فلاأصوات تجلجل ، و لا جبين يرشح ، بل تشـابه شكلى بين الملق و المتلق ، ييسر الامر فى الوقت نفسه على ناقل الوحى الامين و على النبى الـكريم .

و فى كلتا الصورتين يحرص النبى صلوات الله عليه على وعى ما أوحى اليه اذ قال فى المرة الاولى : فيفصم عنى وقد وعيت ما قال ، و فى الثانيـة « فيكلمنى فأعى ما يقول » فاثبت لنفسه الوعى الكامل لحالته قبـل الوحى ، وحالته بعد الوحى ، وحالته أثناء الوحى سواء أخفت وطأة النـازل القرآنى عليه ، أم إشتدت و بهذا الوعى الكامل لم يخلط عليـه السلام مرة واحدة ـ طيلة العصر القرآنى الذى يضم كل مراحل التنزيل ـ بين شخصيته الانسانية المأمورة المتلقية وشخصية الوحى الآمرة المتعالية ، فهو واع أنه انسان ضعيف بين يدى الله يخشى أن يحول الله بينه و بين قلبه ، ويبتهل الى ربه فى دعائه

(١) سورة المزمل رقم : ٤

المأثور « الله يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك ؛ اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » بل كان أول عهده بنزول الوحى ـ مخافة ضياع بعض الآيات من صدره يعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليه وحيه ، و يحرك به لسانه وشفتيه ليستذكره و لا ينساه ، و يحرص على متابعة جبريل فى كل حرف يدارسه اياه حتى يسر الله عليه حفظه بتفريقه و تنجيمه ؛ وأمره بالاطمئنان الى وعده فقال سبحانه « لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه[1] و نهاه عن هذه العجلة التى لا مبرر لها فقال جل شانه : « و لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه ، وقل رب زدنى علما[2] .

و من يتل الآيات القرآنية التى تصور رسول الله انسانا ضعيفا بين يدى الله ، يستمد منه العون ، و يستهديه و يستغفره ، و يصدع بما يامربه وأحيانا يتلقى العتاب الشديد يجد فى أعماق قلبه من الفيض الوجدانى ما يحمله على الاقتناع بالفرق الذى لا يتناهى بين صفة الخالق وصفة المخلوق .

ان صورة محمد صلى الله عليه و سلم فى القرآن هى صورة العبد المطيع ، الذى يخاف عذاب ربه ان عصاه ، لذا يلتزم حدوده ، و يرجو رحمته ، و يعترف بعجزه المطلق عن تبديل حرف من كتاب الله ، قال تعالى :

(١) سورة القيامة رقم : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩

(٢) سورة طه رقم : ١١٤

و اذا تتلى عليهم آياتنا بينـات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقآى نفسى ان أتبع الا ما يوحى الى انى أخاف ان عصيت ربى عـــذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم و لا أدريكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون[1] » .

الى غير ذلك من النصوص القرآنية التى تصور محمدا صلى الله عليه وسلم بانه لا دخل له فى الوحى ، فلا يصوغـه بلفظه ؛ و لا يلقيه بكلامه و انما يلقى اليـــه الخطاب القاء ، فهو مخاطب لا متكلم ؛ حاك ما يسمعه ، لا معبر عن شى يجول فى خاطره .

وقد نهى عليه السلام أول العهد بنزول الوحى عن تدوين شيء سوى القرآن[2] لكى يحفظ للقرآن صفته الربانية ، و يحول دون اختلاطه بشيء ليست له هذه الصفة القدسية ؛ بينما كان عند نزول الوحى ـ ولو آية أو بعض آية ـ يدعو أحد الكتبة فورا ليدون ما نزل من القرآن .

فما هو ذا النبى عليه السلام مقتنعا ـ من خلال ما سبق بان التنزيل القرآنى مصحوب بانمحاء ارادته الشخصية ، وانسلاخه من الطبيعـــة البشرية

---

(١) سورة يونس رقم : ١٥ ، ١٦

(٢) فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليـه و سلم : لا تكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى و لا حرج و من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار .

حتى ما بقى له عليه السلام اختيار فيما ينزل اليه أو ينقطع عنه ، فقد يتتابع الوحى ويحمى حتى يكثر عليه ، وقد يفتر عنه أحوج ما يكون اليه .

ثم هاهو ذا الوحى ينقطع عن النبي و هو أشد ما يكون اليه شوقا ، وله طلبا فبعد أن نزل عليه جبريل باوائل سورة العلق « اقرأ باسم ربك الذى خلق » فتر الوحى ثلاث سنين ، فحزن النبي - كما قالت السيدة عائشة حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من رؤوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال : يا محمد أنت رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه ، و بينا هو ماش ذات يوم اذ سمع صوتا من السماء فرفع بصره ، فاذا الملك الذى جاءه بحراء فرعب منه فرجع الى زوجته الوفية خديجة يقول : زملونى فانزل الله « يايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر » فحمى الوحى وتتابع واستبشر النبي وتبدل انتظاره الحزين فرحة غامرة ، وأيقن أن هذا الوحى الذى استعصى عليه و لم يوافه طوع ارادته مستقل عن ذاته خارج عن ارادته ، فاستقر فى ضميره الواعى أن مصدر هذا الوحى هو الله علام الغيوب .

وفى الصحيحين أن الوحى فاجأه وهو يقظ يلتمس الحقيقة ويبحث عن الله ، ولذلك رعب و جاء خديجة يرجف فؤاده . و لو وقع له هذا فى المنام كما ذهب اليه بعض المفسرين لزال خوفه ورعبه بعد اليقظة ، فلأمر ما قال القرآن : « ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى[1] » .

---

(١) سورة النجم رقم : ١١ ، ١٢

بهذه الحساسية الواعية المرهفة صورت السيدة عائشة بدء الوحى فقالت :

« أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه و سلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله يتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها ـ و صار على هذا المنوال ـ حتى جاءه الحق وفى رواية « فجأه الحق » ـ وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال : « اقرأ » قال : ما أنا بقارئ ، قال : فاخذنى فغطنى ـ أى ضمنى و عصرنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فاخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم ارسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فاخذنى فغطنى الثالثة ثم ارسلنى فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده ؛ فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة و أخبرها الخبر « لقد خشيت على نفسى » فقالت خديجة : كلا و الله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، و تحمل الكل ، و تكسب المعدوم ، و تقرى الضيف ، و تعين على نوائب الحق .

و من الجدير بالذكر أن رجفة فؤاده عليه السلام تشير الى الرعب الذى إعتراه لأن الوحى نزل عليه فجأة و لم يكن يتوقعه كما قال الله تعالى

و ما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك[1] » وكما قال تعالى « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب و لا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا[2] » .

و ان كنت قد أطنبت فى تفسير ظاهرة الوحى لأنها توطئة بين يدى هذه الدراسة القرآنية .

الخلاصـــة :

وخلاصة ما يمكن أن نذكره فى ظاهرة الوحى ما يأتى :

١ ـ انها حالة غير اختيارية .

٢ ـ هى أمر عارض غير عادى .

٣ ـ و هى قوة خارجية : لأنها لا تتصل بنفس النبى صلى الله عليه و سلم الا حينا بعد حين .

٤ ـ و هى قوة عالمة : لأنها توحى اليه علما .

٥ ـ و هى قوة خيرة معصومة : لأنها لاتوحى الا بالحق ولا تأمر الا بالرشد .

(١) سورة القصص رقم : ٨٦

(٢) سورة الشورى رقم : ٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

معرفة المكى والمدنى

مكث النبي صلى الله عليه و سلم قبل البعثة عمرا ما كان يدرى فيه ما الكتاب و لا الايمان ، ثم اختاره الله لتبليغ رسالته ؛ فأوحى اليه روحا من أمره ، وجعل مبعثه كبعث الرسل الذين مضوا من قبله فى سن الأربعين ليكون أنضج فكرا وأصدق عزما ، و أمضى ارادة و أقوى بأسا ، و أوسع تجربة ، وأثبت حنانا .

ان فى وسعنا الآن ـ أن نتدرج مع التنزيل القرآنى مرحلة مرحلة مطمئنين الى ما وافانا به سلفنا الصالح فى وصف تلك المراحل ابتداء و وسطا وختاما ، و فى تقصى النوازل القرآنية المنجمة على حسب المناسبات الفردية أو الاجتماعية ، و فى تحرى جمع القرآن و حفظه و استنساخه فى المصاحف وتحسين رسمه ، و فى الاستيثاق من متواتر أحرفه السبعة ، و فى تتبع أسباب نزوله و ما صح من وجوه الترابط بين آياته ، بما عرف عنهم من ورع بالغ ، وحاسة نقدية مرهفة تعنى بالتناسق الفنى .

حقائق التاريخ

و مما لا يدع مجالا للشك ـ اذا وضعنا العلوم القرآنية موضع الموازنة ـ

فى أن العلم بالمكى و المدنى أحوجها الى تمحيص الروايات ، و تحقيق النصوص ، والتحاكم الى التاريخ الصحيح و هو ـ على كل حال ـ أحوج من هذا كله من « أسباب النزول » لأن العلم بتلك الأسباب يتناول ضروبا معينة من الجزئيات المتعلقة بالمناسبات الفردية و الاجتماعية و لا يتناول شيئا من التفصيلات القرآنية الأخرى التى نزلت ابتداء غير مبنية على أسباب . أما علم المكى و المدنى فلا غنى له عن تناول القرآن كله سورا وآيات .

فكل سورة فيه اما مكية أو مدنية ، و قد تستثنى من السورة المكية آيات مدنية ، و من السورة المدنية آيات مكية : كما أن كل آية فى القرآن معروفة « الهوية » واضحة السيرة فاذا اختلطت بغير زمرتها أخضعها العلماء الثقات لمقاييسهم النقدية الدقيقة حتى قطعوا أو كادوا يقطعون بانها تنتمى الى النوازل المكية أو المدنية .

كان العلم بالمكى و المدنى اذن جديرا بالعناية البالغة التى أحيط بها و خليقا أن يعد بحق منطلق العلماء لاستيفاء البحث .

فى مراحل الدعوة الاسلامية ، و التعرف على خطواتها الحكيمة المتدرجة مع الأحداث و الظروف و التطلع الى مدى تجاوبها مع البيئة العربية فى مكة و المدينة ، و فى البادية و الحاضرة و الوقوف على أساليبها المختلفة فى مخاطبة المؤمنين و المشركين و أهل الكتاب .

و وفاء هذا العلم بتلك المعارف الواسعة جعل بحوثه اشتاتا و ألوانا

فهو فى آن واحـــد ترتيب زمانى ، و تحديد مكانى ، و تبويب موضوعى و تعيين شخصى .

و يخيل الينا أن هذه الألوان المتبـاينة قد طافت باذهان العلماء حين ترددوا فى تقسيم المـكى و المـدنى على أساس من المكان و الزمان او الأشخاص .

فمن قال : المـكى ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة ، والمدنى ما نزل بالمدينـة لاحظ المكان .

و من قال : « و المـكى ما وقع خطابا لأهل مكة و المدنى ما وقع خطابا لأهل المدينة راعى أشخاص المخاطبين و من آثر الاخذ بالاصطلاح المشهور » المـكى ما نزل قبل هجرة الرسول صلى الله عليـه و سلم الى المدينة و ان كان نزوله بغير مكة ، و المدنى ما نزل بعـد الهجرة و ان كان نزوله بمكة عنى بالترتيب الزمنى فى مراحل الدعوة الاسلامية ونحن اذ ناخذ بهذا التعريف الأخير لا نكتم الطالب ما نلمحه من تحقيق عناصر الزمان و المكان والأشخاص فى الاصطلاحات الثلاثة على السواء بل نلمح فيها أيضا عنصرا رابعا لا يخفى على ذى بصر : وهو عنصر الموضوع .

هذه سورة الممتحنة من أولها الى آخرها(١) نزلت بالمدينة اذا لاحظنا

---

(١) و قد نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة حين دفع كتابه الى قريش =

المكان . وكان نزولها بعد الهجرة اذا اعتبرنا الزمان ، و وقعت خطابا لأهل مكة اذا أردنا الأشخاص ، واشتملت على توجيه اجتماعى محض قلوب المؤمنين اذا رغبنا بمعرفة موضوعها لذلك أدرجها العلماء فى باب « ما نزل بالمدينة وحكمه مكى .

و مثل ذلك قوله تعالى : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا[1] » .

نزلت بمكة اذا التمسنا المكان ، و يوم الفتح بعد الهجرة ان تحرينا الزمان و الغاية منها الدعوة الى التعارف و تذكير الانسانية بوحدة أصلها ان عينا الموضوع ، و هى ـ ان راعينا الأشخاص ـ خطاب لأهل مكة و المدينة على السواء ، فما سماه العلماء مكيا على الاطلاق ، و لا مدنيا على التعيين ، بل أدرجوه فى باب « ما نزل بمكة و حكمه مدنى .

على أننا لم نتردد فى تفضيل التقسيم الزمنى فى المكى والمدنى ، لأننا أمام موضوع وثيق الصلة بالتاريخ ، فليس لنا أن نختار فى مثله التبويب المكانى ما دمنا نرمى الى تحديد ما نزل بمكة أو المدينة ابتداء و وسطا وختاما ، فان هذه الأطوار المتعاقبة تفرض أن يكون اختيار الترتيب الزمنى أمرا

= يخبرها بمسير النبي الى مكة .

(١) سورة الحجرات رقم : ١٣

بديهيا لا مجال للتردد فيـــه . أما تعيين الأشخاص و استخراج الموضوعات فأمران ثانويان .

بهذا المنهج التاريخى الزمنى ، الذى لا يتجاهل أثر البيئـــة فى الحياة والاحياء أخذ المحققون من علمائنا وشددوا فى مأخذهم به حتى منعوا الجاهل بمراحل الدعوة الاسلامية أن يتصدى لكتاب الله مفسرا لآياته أو خاضعا فيه .

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابورى[1] « من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته »

و ترتيب ما نزل بمكة ابتداء و وسطا وختاما و ترتيب ما نزل بالمدينـــة كذلك ، ثم ما نزل بمكة وحكمه مدنى و ما نزل بالمدينة وحكمه مكى .

و يعنينا من قول أبى القاسم النيسابورى هنا أنه قسم القرآن كله الى ست مراحل زمنية : ثلاث فى مكة ابتداء و وسطا وختاما و ثلاث بعدها فى المدينة ابتداء و وسطا وختاما .

و لو أتممنا عبارة أبى القاسم النيسابورى لوجدناه فيها - بعد التزامه المنهج التاريخى الزمنى - يلحق بهذا المنهج نفسه جزئيات تبدو فى أنظارنا صغيرة يسيرة و لكنها فى نظره هامة جليلة اذا يجعل العلم بها فريضة على كل من يعنى بتفسير كتاب الله المجيـــد فعلى المفسر الحاذق الماهر أن يعرف كذلك ما نزل بمكة فى أهل المدينة و ما نزل بالمدينة فى أهل مكة ثم ما يشبه نزول

(١) هو النحوى المفسر ؛ امام عصره فى القراءات ، توفى سنة ٤٠٦

المكى فى المدنى ، و ما يشبه نزول المدنى فى المكى ، ثم ما نزل بالجحفة ، و ما نزل ببيت المقدس و ما نزل بالطائف ، وما نزل بالحديبية ثم ما نزل ليلا ، و ما نزل نهارا و ما نزل مشيعا ، و ما نزل مفردا ، ثم الآيات المدنيات فى السور المكية ؛ و الآيات المكية فى السور المدنية ، ثم ما حمل من مكة الى المدينة ، و ما حمل من المدينة الى مكة ، و ما حمل من المدينة الى أرض الحبشة ، ثم ما نزل مجملا ، و ما نزل مفسرا ، و ما نزل مرموزا ، ثم ما اختلفوا فيه فقال بعضهم مكى ، و بعضهم مدنى .

هذه خمسة و عشرون وجها من لم يعرفها و يميز بينها لم يحل له أن يتكلم فى كتاب الله تعالى .

و العلماء الثقات وافونا بذلك كله ، فلكل آية فى القرآن تاريخها بل لكل لفظة فيه سيرتها و ترجمتها .

بعد الذى وضحناه من تشدد علمائنا فى استقصاء كل ما يتعلق بالمكى و المدنى ـ فى أن الرواية الصحيحة هى الطريقة الوحيدة الى ترتيب القرآن أمثل ترتيب زمنى ، و الروايات فى هذا المجال لم ترد الا عن الصحابة الذين شاهدوا مكان الوحى وعرفوا زمانه أو التابعين الذين سمعوا وصف ذلك وتفصيله من الصحابة أما الرسول صلى الله عليه و سلم فلم يرد عنه شىء من هذا القبيل لأنه عليه السلام ، كما يقول القاضى أبو بكر فى « الانتصار » لم يؤمر به ، و لم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة و مما لا شك فيه أن كثيرا

من الصحابة كانوا على علم كامل بالمكى و المدنى به استطاعوا أن يستقصوا تلك الجزئيات الدقيقة التى حفلت بها كتب التفسير بالمأثور و المؤلفات الكثيرة فى علوم القرآن .

وفى وسعنا أن نكون فكرة عن غزارة علم الصحابة فى هذه الموضوعات من خلال قول ابن مسعود : ز « و الذى لا اله غيره ما نزلت آية من كتاب الله تعالى الا و أنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت .

تنبيـــه : كثير من جزئيات المكى و المدنى انتهى به العلم الينا عن طريق الاجتهاد ، و أن العقل كالنقل ، و القياس كالسماع فى ثبوت العلم بالشىء و قد لاحظ الجعبرى هذا حين قال :

لمعرفة المكى و المدنى طريقان : سماعى و قياسى - و عرف السماعى بأنه « ما وصل الينا نزوله باحدهما » .

ثم أنشا يذكر أمثلة وشواهد على القياس و اذ قرنا أمثلته بامثلة العلماء الذين مارسوا القرآن و تذوقوا فنونه و أساليبه استنبطنا من مجموعها ضابطا قياسيا نستطيع به أن نميز السور المكية و المدنيـــة ، و نتعرف الى طابع كل منها وخصائصه وسنرى أن هذا الضابط قلما يتخلف عند التطبيق فمن خصائص السورة المكية تبعا لهذا الضابط .

١ - كل سورة فيها لفظ « كلا » فهى مكية وقد ذكر هذا اللفظ فى القرآن ثلاثا و ثلاثين مرة ، فى خمس عشرة سورة كلها فى النصف الأخير من القرآن . قال الدرينى رحمه الله « وما نزلت كلا بيثرب فاعلمن ولم تات

فى القرآن فى نصفه الأعلى .

٢ - كل سورة فيها سجدة فهى مكية .

٣ - كل سورة أولها حروف التهجى فهى مكية سوى الزهراوين فانهما مدنيتان بالاجماع و فى الرعد خلاف .

٤ - كل سورة فيها قصص الأنبياء و الأمم السابقة فهى مكية سوى البقرة .

٥ - كل سورة فيها قصة آدم و ابليس فهى مكية سوى البقرة أيضا .

٦ - كل سورة فيها يأيها الناس و ليس فيها يايها الذين آمنوا فهى مكية ولكنه ورد على هذا ما تقدم بين يديك من سورة الحج .

٧ - كل سورة من المفصل فهى مكية و هذا يحمل على الكثرة الغالبة من سور المفصل لا على جميع سور المفصل .

أما ضوابط المدنى . فكما ياتى :

١ - كل سورة فيها الحدود و الفرايض فهى مدنية .

٢ - كل سورة فيها اذن بالجهاد و بيان لأحكامه فهى مدنية .

٣ - كل سورة فيها ذكر المنافقين فهى مدنية ما عدا سورة العنكبوت والتحقيق أن سورة العنكبوت مكية ما عدا الآيات الأحد عشرة الأولى منها فانها مدنية و هى التى ذكر فيها المنافقون .

خصائص المكى

١ - نرى المكى غالبا يعالج موضوع بناء العقيدة بطريقة وحدانية و عقلية و موضوعية الأساس فى اختصار كما يقول الأستاذ الشهيد سيد قطب [حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية وحقيقة العلاقات ، و تعريف الناس بربهم الحق الذى ينبغى أن يدينوا له ويعبدوه ، و يتبعوا أمره وشرعه و تنحية كل ما أدخل على العقيدة الفطرية الصحيحة من عبث و دخل و انحراف والتواء ، ورد الناس الى الاههم الحق الذى يستحق الدينونة لربوبته] .

٢ - ونرى فى هذا النوع من القرآن جدالا للمشركين يبين خطأهم الواضح ؛ والغاءهم العقل ، و اتباعهم العادات المالوفة التى وجدوا عليها آباءهم ونرى فيه هجوما عنيفا على الشرك والوثنية والعادات القبيحة ، وزجرا وتهديدا و وعيدا للكافرين .

٣ - و نرى أن المكى يغلب على آياته القصر ؛ و تكثر فيه كلمة « كلا » ويكثر فيه افتتاح السور بالحروف من أمثال [ق] و [حم] و [كهيعص] . و أسلوب عرضه مسوح عميق الايقاع ، بالغ التاثير .

٤ - و نرى أن القرآن المكى يكثر من عرض قصص المكذبين .

خصائص المدنى

١ - نرى المدنى غالبا يعالج بناء المجتمع المسلم و الاسرة المسلمة بتفصيل احكام الشريعة فى نواحى الحياة المختلفة ، من معاملات و زواج وطلاق و ميراث ، وكانت هذه الأحكام مبنية على العقيدة و منبثقة منها .

٢ - و نرى فى هذا النوع من القرآن فضحا للنافقين و كشفا لمؤامراتهم ، و عرضا لتناقضاتهم وتسفيها لشعاراتهم المخادعة التى يطرحونها .

٣ - و نرى فيه مجادلة لأهل الكتاب ، و مناقشة لآرائهم التى تتعارض احيانا مع حقائق التاريخ .

٤ - و نرى فيه ذكرا لأحكام الجهاد و الحرب و السلم و الهدنة مما يتصل بشئون الدولة المسلمة وعلاقاتها الدولية .

٥ - و نلاحظ أن هذه الأغراض وغيرها عرضت باسلوب يناسبها ؛ فليس من شك فى أن موضوع النص يحدد لون الأسلوب وطريقته ، ولهذا فاننا نرى أن الآيات فى القرآن المدنى يغلب عليها الطول . ولكن أسلوب القرآن فى النوعين : المكى و المدنى يبقى هو الأسلوب المعجز الذى تميز عن أساليب البشر و يبقى هو الأسلوب الذى بلغ الذروة فى الجمال والبيان و الروعة .

بسم الله الرحمن الرحيم

علم اسباب النزول

قد جعـــل الله لكل شيء سببا كما جعل لكل شيء قدرا ، فما يبصر مولود نور الحياة الا بعد أسباب وأطوار ، و لا يقع حـــدث فى الوجود الا اثر مقدمات و ارهاصات ، و لا تتغير الأنفس والآفاق الا عقب سلسلة من التمهيد و الاعداد .

« سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنت الله تبديلا »

و لا شيء كالتاريخ يشهد بصدق هذه السنة وانطباقها على واقع الحياة فما يسع مؤرخا ثاقب النظر دقيق الاستنتاج أن يجهـــل اسباب الحوادث و دوافعها ان اراد الوصول الى الحقائق التاريخيـة الثابتة من خلال الوثائق و النصوص .

لـكن التاريخ لا ينفرد وحده بالحاجة الى استنباط النتائج من خلال المقدمات ، و استبطان الحقائق من مضمون الأسبـاب ، بل العلوم الطبيعية والدراسات الاجتماعية والفنون الأدبية تشارك التاريخ كذلك فى تطلعها الى معرفة الأسباب و المسببات ؛ و استشرافها الى العلم بالمبادئ و الغايات .

قال الجعبرى :

نزول القرآن على قسمين . قسم نزل ابتداء غير مبنى على سبب من سؤال وحادثة ، كاكثر الآيات المشتملة على قصص الامم الغابرة مع أنبيائها أو وصف بعض الوقائع الماضية أو الأخبار الغيبية المستقبلة ، أو تصوير قيام الساعة أو مشاهد القيامة أو أحوال النعيم والعذاب ، و هى فى القرآن كثيرة انزلها الله لهداية الخلق الى الصراط المستقيم وجعلها مرتبطة بالسياق القرآنى سابقة ولاحقة ، من غير أن تكون اجابة عن سؤال أو بيانا لحكم شىء وقع .

وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال وهذا محل البحث غير أننا لا نريد أن نستعرض جميع الآيات التى جاءت على أسباب ، فذلك شىء بعيد المدى انما الغرض أن نحيطك علما بما يمكن احاطته من أسباب النزول .

زعم بعض الناس أنه لا فائدة للالمام بأسباب النزول وانها لا تعدو أن تكون تاريخا للنزول أو جارية مجرى التاريخ وقد أخطأ فيما زعم ، فان لأسباب النزول فوائد متعددة - .

منها وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .

و منها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب

و منها الوقوف على المعنى ، قال الشيخ أبو الفتح القشيرى « بيان سبب النزول طريق قوى فى فهم الكتاب العزيز » .

و منها أن يكون اللفظ عاما ، و يقوم الدليل على تخصيصه

و منها الوقوف على المعنى وازالة الاشكال .

قال الواحدى :

لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها و بيان نزولها .

و قال ابن دقيق العيد :

بيان سبب النزول طريق قوى فى فهم معانى القرآن .

قال ابن تيمية :

معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب و منها دفع توهم الحصر و قال الشافعى رضى الله عنه ما معناه فى معنى قوله تعالى [قل لا أجد فيما أوحى الى محرما[1]] .

ان الكفار لما حرموا ما أحل الله ، و أحلوا ما حرم الله ، وكانوا على المضادة و المحادة جاءت الآية متناقضة لغرضهم ، فكأنه قال : لا حلال الا ما حرمتموه و لا حرام الا ما أحللتموه ، نازلة منزلة من يقول لا تاكل اليوم حلاوة ، فتقول : لا آكل اليوم الا الحلاوة .

والغرض المضادة لا النفى والاثبات على الحقيقة فكانه قال : لا حرام الا ما حللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير و ما أهل لغير الله به ؛ ولم يقصد حل ما وراءه ، اذ القصد اثبات التحريم لا اثباب الحل .

قال امام الحرمين[2] ، و هذا فى غاية الحسن ، ولولا سبق الشافعى

(١) سورة الانعام رقم : ١٤٥

(٢) هو أبوالمعالى عبد الملك بن أبى عبدالله بن يوسف بن محمد الجوينى الشافعى=

الى ذلك لما كنا نستجيز مخالفـــة مالك فى حصر المحرمات فيما ذكرته الآية و هذا قد يكون من الشافعى أجراه مجرى التاويل » و من قال بمراعاة اللفظ دون سببه لا يمنع من التأول .

ان آيات الظهار - فى أوائل سورة المجـادلة - نزلت فى أوس بن الصامت ، فقـــد ظاهر من امرأته لحرمها على نفسه كظهر أمه . وصرحت الآيات بان كفارة الظهار تحرير رقبة ، أو صيام شهرين متتابعين ، أو اطعام ستين مسكينا ؛ ثم وقعت لسلمة بن صخر واقعة مماثلة ، فظاهر من امرأته حتى ينسلخ شهر رمضان ، فلما سال النبي عن شانه أفتاه بما أ نزل الله فى أوس .

و لم يكن حديث سلمة سبب نزول الآيات ولـكن حديث أوس كان سبب نزولها بيد أن العلماء اتفقوا على تعدية هذه الآيات الى غير سببهـا ، فقالوا فى أوائل تفسيرها على سبيل التجوز :
نزلت آيات الظهار فى سلمة بن صخر .

وفى حديث الافك نزل حد القذف فى رماة السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها و كان رماتها معلومين ولـكن حد القذف تعداهم الى غيرهم ، رغم ارتكابهم اقبح قذف و أوقحه لأنهم رموا أم المؤمنين ، و مـن رمى أم قوم فقد رماهم ، حتى جاءت عبارة الآية عامة جمعت فى لفظ المحصنات

= العراق ، شيخ الامام الغزالى ، و أعلم المتأخرين مـن أصحاب الشافعى توفى سنة ٤٧٨

عائشة مع غيرها فقال الله تعالى « و الذين يرمون المحصنات[1] » .

والقول بتعدية الآيات الى غير أسبابها جر الجمهور الى الأخذ بعموم اللفظ بدلا من خصوص السبب .

و منها ازالة الاشكال ففى الصحيح عن مروان بن الحكم أنه بعث الى ابن عباس يسأله : لئن كان كل امرىء فرح بما أوتى و أحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون .

فقال ابن عباس : هذه الآية نزلت فى أهل الكتاب ثم تلا قوله تعالى « واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » الى قوله تعالى « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا و يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا .

قال ابن عباس : سألهم النبي صلى الله عليه و سلم عن شيء فكتموه و اخبروه بغيره فخرجوا و قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه فاستحمدوا بذلك اليه وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ما سألهم عنه . انتهى بتصرف .

و من ذلك قوله تعالى : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا[2] » .

فحكى عن عثمان بن مظعون و عمرو بن معد يكرب أنهما كانا يقولان الخمر مباحة ، و يحتجان بهذه الآية وخفى عليهما سبب نزولها ، فانه يمنع من

(١) سورة النور رقم : ٤

(٢) سورة المائدة رقم : ٩٣

ذلك ، و هو ما قاله الحسن وغيره لما نزل تحريم الخمر ، قالوا : كيف باخواننا الذين ماتوا و هى فى بطونهم ؛ وقد أخبر الله أنها رجس فأنزل الله تعالى « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح » .

و من ذلك قوله تعالى : « واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم[1] » . قد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة ، وقد بينه النزول روى ان ناسا قالوا : يا رسول الله ، قد عرفنا عدة ذوات الاقراء ، فما عدة اللائى لم يحضن من الصغار والكبار ؟ فنزلت ، فهذا يبين معنى [ان ارتبتم] أى أن أشكل عليكم حكمهن ، وجهلتم كيف يعتددن ؟ فهذا حكمهن .

و من ذلك قوله تعالى : [و لله المشرق و المغرب ، فاينما تولوا فثم وجه الله[2]] .

فانا لو تركنا مدلول اللفظ لاقتضى أن المصلى لا يجب عليه استقبال القبلة سفرا و لا حضرا ، و هو خلاف الاجماع فلا يفهم مراد الآية حتى يعلم سببها ، و ذلك أنها نزلت لما صلى النبى صلى الله عليه وسلم على راحلته ، وهو مستقبل من مكة الى المدينة حيث توجهت به ، فعلم أن هذا هو المراد .

و من ذلك قوله تعالى : [ان من أزواجكم و أولادكم عدوا لكم[3]] .

---

(١) سورة الطلاق رقم : ٤

(٢) سورة البقرة رقم ١١٥

(٣) سورة التغابن رقم : ١٤

فان سبب نزولها أن قوما أرادوا الخروج للجهاد فمنعهم أزواجهم وأولادهم [فانزل الله تعالى هذه الآية ثم أنزل الله فى بقيتها ما يدل على الرحمة و ترك المؤاخذة فقال : و ان تعفوا و تصفحوا و تغفروا فان الله غفور رحيم] .

أول السنة :

و قد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشانه ، و تذكيرا به عند حدوث سببه خوف نسيانه ؛ و هذا كما قيل فى الفاتحة نزلت مرتين : مرة بمكة ، و أخرى بالمدينة و كما ثبت فى الصحيحين عن أبى عثمان النهدى عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبلة ، فاتى النبى صلى الله عليه و سلم فاخبره ، فانزل الله تعالى [وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت] فقال الرجل الى هذا ؟ فقال : بل لجميع أمتى فهذا كان فى المدينة ، و الرجل قد ذكر الترمذى أو غيره أنه أبو اليسر .

وسورة هود مكية بالاتفاق ، ولهذا أشكل على بعضهم هذا الحديث ؛ ولا اشكال ، لأنها نزلت مرة بعد مرة ومثاله فى الصحيحين عن ابن مسعود فى قوله تعالى [و يسألونك عن الروح[٢]] انها نزلت لما سأله اليهود عن الروح و هو فى المدينة . و معلوم أن هذه فى سورة الاسراء وهى مكية بالاتفاق ،

---

(١) سورة هود رقم . ١٤٤

(٢) سورة الاسراء رقم : ٨٥

فان المشركين لما سالوه عن ذى القرنين و عن أهل الكهف قبل ذلك بمكة و ان اليهود أمروهم ان يسألوه عن ذلك ، فانزل الله الجواب كما قد بين فى موضعه وكذلك ما ورد فى [قل هو الله أحد] انها جواب للمشركين بمكة و انها جواب لأهل الكتاب بالمدينة .

وكذلك ما ورد فى الصحيحين من حديث المسيب لما حضرت أبا طالب الوفاة ، وتلكأ عن الشهادة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « لأستغفرن لك ما لم أنه » فانزل الله [ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى] و أنزل الله فى أبى طالب [انك لا تهدى من أحببت[1]] .

و هذه الآية نزلت فى آخر الأمر بالاتفاق ، وموت أبى طالب كان بمكة ، فيمكن أنها نزلت مرة بعد أخرى وجعلت اخيرا فى براءة. و الحكمة فى هذا كله أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضى نزول آية ، وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها ، فتؤدى تلك الآية بعينها الى النبى صلى الله عليه وسلم تذكيرا لهم بها وبأنها تتضمن هذه والعالم قد يحدث له حوادث ، فيتذكر أحاديث وآيات تتضمن الحكم فى تلك الواقعة و ان لم تكن خطرت له تلك الحادثة . مع حفظه لذلك النص :

و ما يذكره المفسرون من أسباب متعددة لنزول الآية قد يكون من

(١) سورة القصص رقم : ٥٦

هذا الباب .

و لا سيما وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم اذا قال: نزلت هذه الآية فى كذا فانه يريد بذلك ان هذه الآية تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب فى نزولها .

و ذهب جماعة من المحدثين أن هذا من المرفوع المسند كما فى قول ابن عمر فى قوله تعالى [نساؤكم حرث لكم[1]] .

و أما الامام أحمد[2] فلم يدخله فى المسند ، وكذا مسلم وغيره وجعلوا هذا مما يقال بالاستدلال و بالتاويل فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع .

[خصوص السبب وعموم الصيغة]

وقد يكون السبب خاصا و الصيغة عامة ، لينبه على أن العبرة بعموم اللفظ .

و قال الزمخشرى فى سورة الهمزة يجوز أن يكون السبب خاصا و الوعيد عاما ، ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه ، فان ذلك أزجر له ؛ و أنكى فيه .

(١) سورة البقرة رقم : ٢٢٣
(٢) هو الامام أحمد بن محمد بن حنبل صاحب المذهب وكتاب المسند ولد سنة ١٦٤ وتوفى سنة ٢٤١

(تنبيـه)

اختلف علماء الأصول : هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب .

فذهب الجمهور الى الأول ، وقد نزلت آيات فى أسباب واتفقوا على تعديتها الى غير أسبابها كنزول آية الظهار فى سلمة بن صخر ، وآية اللعان فى شأن هلال بن أمية وحد القاذف فى رماة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ثم تعدى الى غيرهم وقد تقدم بسط الكلام فى ذلك وذهب البعض الى أن العبرة بخصوص السبب و معنى هذا أن لفظ الآية يكون مقصورا على الحادثة التى نزل هو لأجلها اما أشباهها فلا يعلم حكمها من نص الآية ؛ انما يعلم بدليل مستانف آخر ، هو القياس اذا استوفى شروطه أونص كقوله صلى الله عليه وسلم « حكمى على الواحد حكمى على الجماعة » فآية القـذف السابقة النازلة بسبب حادثة هلال مع زوجته خاصة بهذه الحادثة وحدها « على هذا الرأى » .

أما حكم غيرها مما يشبهها ، فانما يعرف قياسا عليها أو عملا بالحديث المذكور .

(تنبيـه)

ان هذا الخلاف القائم بين الجمهور وغيرهم ، محله اذا لم تقم قرينة على تخصص لفظ الآية العـام بسبب نزوله أما اذا قامت تلك القرينة فان الحكم يكون مقصورا على سببه لا محالة ، باجماع العلماء .

(تنبيـــه)

كما يجب أن نلاحظ أيضا الى أن حكم النص العـــام الوارد على سبب يتعدى عند هؤلاء و هؤلاء الى أفراد غير السبب بيد أن الجمهور يقولون انه يتناولهم بهذا النص نفسه وغير الجمهور يقولون انه لا يتناولهم الا قياسا أو بنص آخر كالحديث المعروف .

« حكمى على الواحد حكمى على الجماعة »

وخلاصة القول :

أن ثمرة هذا الخلاف ترجع الى أمرين « أحدهما » أن الحكم على أفراد غير السبب مدلول عليه بالنص النازل فيه عند الجمهور . و ذلك النص قطعى المتن اتفـاقا ؛ وقد يكون مع ذلك قطعى الدلالة . أما غير الجمهور فالحكم عندهم على غير أفراد السبب ليس مدللا عليه بذلك النص بل بالقياس أو الحديث المعروف ؛ وكلاهما غير قطعى .

« الثانى » أن أفراد غير السبب كلها يتناولها الحكم عند الجمهور ما دام اللفظ قد تناولها . أما غير الجمهور فلا يسحبون الحـــكم الا على ما استوفى شروط القياس منها دون سواه .

« ان أخذوا فيه بالقياس »

ثم اعلم أنه قد يكون النزول سابقا على الحكم ، وهذا كقوله تعالى :

« قد أفلح من تزكى[1] » فانه يستدل بها على زكاة الفطر ، روى البيهق بسنده الى ابن عمـــر أنها نزلت فى زكاة رمضان ، ثم أسند مرفوعا نحوه ، و قال بعضهم : لا ادرى ما وجه هذا التأويل لأن هذه السورة مكيـة ، و لم يكن بمكة عيد و لا زكاة .

و أخرج البغوى فى تفسيره ، بانه يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم : كما قال « لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد[2] » فالسورة مكية وظهر أثر الحل يوم فتح مكة ؛ حتى قال عليه السلام :

« أحلت لى ساعة من نهار »

وكذلك نزل بمكة « سيهزم الجمع ويولون الدبر[3] » و قال عمر بن الخطاب :كنت لا أدرى اى الجمع يهزم ، فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول [سيهزم الجمع و يولون الدبر] .

يكون الحكم سابقا على النزول كما فى آية الوضوء ففى صحيح البخارى عن عائشة قالت « سقطت قلادة لى بالبيداء و نحن داخلون المدينة ، فاناخ رسول الله صلى الله عليه و سلم و نزل فثنى رأسه فى حجرى راقدا ؛ و أقبل أبو بكر فلكزنى لكزة شديدة و قال حبست الناس فى قلادة ، ثم ان النبى

(١) سوره الاعلى رقم : ١٤
(٢) سورة البلد رقم : ١ - ٢
(٣) سورة القمر رقم : ٤٥

صلى الله عليه و سلم استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد ؛ فنزلت - يايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصـــلاة الى قوله - لعلكم تشكرون[1] فالآية مدنية اجماعا ، وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة : قال ابن عبد البر : معلوم عند جميع أهل المغازى أنه صلى الله عليه و سلم لم يصل منذ فرضت عليه الصلاة الا بوضوء و لا يدفع ذلك الا جاهل أو معاند قال : و الحكمة فى نزول آية الوضوء مع تقدم العمل به ليكون فرضه متلوا بالتنزيل . و قال غيره : يحتمل أن يكون أول الآية نزل مقدما مع فرض الوضوء ثم نزل بقيتها وهو ذكر التيمم فى هذه القصة . قلت يرد الاجماع على أن الآية مدنيـة : و من أمثلته أيضا : آية الجمعة ، فانها مدنية و الجمعة فرضت بمكة ، وقول ابن الفرس ان اقامة الجمعة لم تكن بمكة قط يرده ما أخرجه ابن ماجة عن عبـــد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت قائد أبى حين ذهب بصره ، فكنت اذا خرجت به الى الجمعة فسمع الآذان يستغفر لأبى أمامة أسعد بن زرارة فقلت يا أبتاه أرأيت صلاتك على أسعد بن زرارة كلما سمعت النداء بالجمعة لم هذا ؟

(١) سورة المائدة رقم : ٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الأحرف السبعة

نجـــد فى الأحاديث الصحيحة المروية من طرق مختلفة ما يفيـــد أن الرسول صلى الله عليـه و سلم صرح بنزول القرآن على سبعة أحرف . و من أصرح هذه الأحاديث ما رواه البخارى و مسلم و اللفظ للبخـارى ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

« سمعت هشام بن حكيـــم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم ؛ فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره فى الصلاة ، فانتظرته حتى سلم ، ثم لببته بردائه أو بردائى فقلت : من أقرأك هذه السورة ؟ قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت له : كذبت ، فو الله ان رسول الله صلى الله عليه و سلم أقرأنى هذه السورة التى سمعتك تقرؤها ، فانطلقت أقوده الى رسول الله صلى الله عليـه و سلم فقلت : يا رسول الله ، انى سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها و أنت أقرأتنى سورة الفرقان :

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم أرسله يا عمر ، اقرأ يا هشام . فقرأ هذه القراءة التى سمعته يقرؤها .

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « هكذا أنزلت » ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم .

« ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه » و روى هذا الحديث عن جمع كبير من الصحابة منهم عمر و عثمان و ابن مسعود و ابن عباس وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين .

و روى الحافظ أبو يعلى فى مسنده الكبير أن عثمان رضى الله عنه قال يوما وهو على المنبر : « أذكر الله رجلا سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« ان القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف » لما قام فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك ، فقال عثمان رضى الله عنه : « و أنا أشهد معهم » و توافر هذه الجموع التى لم تحص عددا على هذا الموضوع ، حمل بعض الأئمة على القول بتواتر الحديث ، و فى طليعة هؤلاء أبو عبيد القاسم بن سلام و اذا لم يتوافر التواتر فى الطبقات المتاخرة ، فحسبنا صحة الأحاديث التى ذكرناها مؤكدة لهذه الحقيقة الدينية التى نطق بها رسول الله عليه السلام و يجنح جمهور العلماء الى ان المصاحف العثمانية اشتملت على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة ، و اختار القاضى أبو بكر بن الطيب الباقلانى هذا الرأى و قال :

« الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الأئمة وأثبتها عثمان والصحابة فى المصحف ،

و أخبروا بصحتها ، و انما حذفوا منها ما لم يثبت متواترا .

و عبارة « الأحرف » و هى جمع حرف ـ الواردة فى الحديث تقع على معـان مختلفة فقد تكون بمعنى القراءة كقول ابن الجزرى « كانت الشام تقرأ بحرف ابن عامر ، وقد تفيد المعنى و الجهة كما يقول أبو جعفر محمد بن سعدان النحوى[1] .

ولـكن القول بأن المراد بها القراءات ـ كما حكى عن الخليل بن أحمد ـ هو أضعف الأقوال بلا ريب ، و لا سيما اذا توهم القـائل أنها ما يسمى بالقراءات السبع واختلاف العلماء فى تحديد المراد من « الأحرف » المذكورة فى الحديث أثار عددا من الأقوال المتضاربة فى حقيقة الذى أنزل . فرأى فيـــه بعضهم خمسة و ثلاثين وجها ، و بلغ بها آخرون أربعين ، و أكثرها لا يؤيدها نقل صحيح و لا منطق سليم . ومنشأ الخطا فيها ارادة التعيين على سبيل القطع والجزم مع أنه لم يأت فى معناها كما يقول ابن العربى ـ « نص و لا أثر ، و اختلف الناس فى تعيينها » .

و لم يكن بد من أن يتساءل العلماء : هل العدد محصور فى سبعة أحرف أم المراد التوسعة على القارئ و لم يقصد به الحصر ؟

فالذين يستبعدون الحصر هنا يغالون فى هجران النصوص البالغة درجة

(١) هو أحد القراء بدأ يقرأ بقراءة حمزة ثم اختار لنفسه قراءة خاصة تنسب اليه توفى سنة ٢٣١

التواتر ـ كما أسلفنا ـ مع أن تواردها على عدد « السبعة » لا يعقل بحال من الاحوال أن يكون غير مقصودة و لا سيما اذا لوحظ أن الحديث يتناول قضية ذات علاقة مباشرة بالوحى وطريقة نزوله ، و فى مثل هذه الأمور لا يلقى الرسول صلى الله عليه وسلم الخبر غامضا و لا يذكر عددا لا مفهوم له ، فما نقل عن علماء الصحابة فى هذا ليس له صلة بالاعتقاد و لكن قوما ممن لا يبالون بالنصوص و لا يتورعون عن مجرانها أو اخراجها عن ظاهرها تسرعوا فرأوا « أنه ليس المراد بالسبعة العدد ، بل المراد التيسير و التسهيل والسعة ، ولفظ السبعة يطلق على ارادة الكثرة فى الآحاد كما يطلق السبعون فى العشرات والسبعمائة فى المئين ، و لا يراد العدد المعين ، و من الغريب أن ينسب مثل هذا الرأى الى القاضى عياض[1] و هو الذى لا يفضل على الرواية الصحيحة شيئا ولكن السيوطى رد على هذا القول ردا قويا مؤيدا بالنصوص .

واذن فلفظ السبعة لا يراد به الكثرة بل الحصر كما فهمه جل العلماء و هو الذى كان السبب فيما عانوه من محاولة البحث عن هذا العدد المعين فالأكثر ـ كما يقول ابن حيان ـ على أنه محصور فى سبعة بيد أن كثيرا من تلك

(١) القاضى عياض هو عالم المغرب وامام اهل الحديث فى قرطبة ، وهو عياض ابن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي ، صاحب كتاب الشفاء « بتعريف حقوق المصطفى » توفى سنة ٥٤٤ هـ .

المحاولات لم يحالفها التوفيق ، كما رأينا قول من جنح الى أن الأحرف السبعة هى القراءات ، ويكاد يقارب هذا القول فى الضعف رأى الذين حصروا هذه الأحرف فى بعض اللهجات أو اللغات .

و هذه الآراء السابقة كلها - على ضعفها - لا نستغرب ذكر العلماء لها بين تلك المجموعات من الأقوال الشارحة للاحرف السبعة ، و لكننا لا نستغرب فحسب بل نستنكر استنكارا شديدا جنوح بعض العلماء الى مثل هذه المفهومات السقيمة و يرون فى الأحرف السبعة ما لا يراه الناس و اذا لم يصح الاقتصار على أحد تلك الآراء السابقة فقد بدا لنا استقصاء الممكن منها و هو لا يعارض النقل و العقل ، ربما كان أصوب الآراء و أبعدها عن الافراط والتفريط : فالمراد من هذه الأحرف السبعة و الله أعلم - الأوجه السبعة التى وسع بها على الأمة ؛ فباى وجه قرأ القارئ منها فقد أصاب - ولقد كان النبي صلى الله عليه و سلم يصرح بهذا كل التصريح حين قال : « أقرأنى جبريل على حرف ، فراجعته فلم أزل استعيده حتى انتهى الى سبعة أحرف فاللفظ القرآنى الواحد مهما يتعدد أداؤه وتتنوع قراءته لا يخرج التغاير فيه عن الوجوه السبعة الآتية .

الأول : اختلاف الأسماء فى افرادها وتثنيتها وجمعها وتذكيرها وتانيثها .

الثانى : اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع و أمر .

الثالث : اختلاف وجوه الاعراب .

الرابع : اختلاف بالنقص و الزيادة .

الخامس : اختلاف فى التقديم والتاخير .

السادس : اختلاف الابدال .

السابع : اختلاف اللهجات فى الفتح و الامالة و الترقيق و التفخيم والتحقيق والتسهيل و الادغام و الاظهار .

و قال ابن الجزرى : قد تتبعت صحيح القراءات و شاذها و ضعيفها و منكرها فاذا هى يرجع اختلافها الى سبعة أوجه لا تخرج عنها ، و ذلك اما فى الحركات بلا تغير فى المعنى و الصورة نحو البخل بضم الباء و سكون الخاء ؛ والبخل بفتح الباء و الخاء ، و يحسب بكسر السين وفتحها أو تغير فى المعنى فقط نحو « فتلقى آدم من ربه كلمات » فقد قرئ بنصب آدم و رفع كلمات .

و اما فى الحروف بتغير المعنى دون الصورة نحو « تبلو » فقد قرئ « تتلو » بتاءين ، أو تغير الصورة لا المعنى نحو « الصراط » فقد قرئ بالسين على الأصل . أو بتغيرهما نحو « فاسعوا » فقد قرئ شاذا « فامضوا » و اما فى التقديم والتأخير نحو « فيقتلون و يقتلون » فقد قرئ بتقديم الفعل المبنى للمجهول على الفعل المبنى للعلوم أو فى الزيادة و النقصان نحو « وصى » فقد قرئ بزياد همزة بين الواوين و تخفيف الصاد ، فهذه سبعة لا يخرج الاختلاف عنها .

قال: وأما نحو اختلاف الاظهار والادغام والروم والاشمام والتخفيف و التسهيل و النقل و الابدال فهذا ليس من الاختلاف الذى يتنوع فى اللفظ و المعنى، لأن هذه الصفات المتنوعة فى أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا انتهى.

و الخلاصة: أن تنوع القراءات، يقوم مقام تعدد الآيات. و ذلك ضرب من ضروب البلاغة، يبتدئ من جمال هذا الايجاز، و ينتهى الى كمال الاعجاز أضف الى ذلك ما فى تنوع القراءات من البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة على ان القرآن كلام الله و على صدق من جاء به و هو رسول الله صلى الله عليه و سلم فان هذه الاختلافات فى القراءة على كثرتها لا تؤدى الى تناقض فى المقرؤ و تضاد بل القرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضا و يبين بعضه بعضا، و يشهد بعضه لبعض على نمط واحد فى علو الأسلوب والتعبير، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم. و ذلك - من غير شك - يفيد تعدد الاعجاز بتعدد القراءات والحروف.

قال ابن الجزرى:

كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه و وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها و لا يحل انكارها، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن، و وجب على الناس قبولها سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من

الأئمة المقبولين ، ومتى أختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ، سواء أكانت عن السبعة أم عن من هو أكبر منهم ، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف و الخلف صرح بذلك الدانى و مكى و المهدوى و أبو شامة و هو مذهب السلف الذى لا يعرف عن أحد منهم خلافه .

قال أبو شامة : فى المرشد الوجيز لا ينبغى أن يغير بكل قراءة تعزى الى أحد السبعة و يطلق عليها لفظ الصحة و أنها أنزلت هكذا ، الا اذا دخلت فى ذلك الضابط ، و حينئذ لا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره ، و لا يختص ذلك بنقلها عنهم ، بل ان نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة ، فان الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب اليه ؛ فان القراءة المنسوبة الى كل قارىء من السبعة وغيرهم منقسمة الى المجمع عليه و الشاذ غير هؤلاء السبعة اشهرتهم و كثرة الصحيح المجمع فى قراءتهم تركن النفس الى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم .

و كم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم و لم يعتبر انكارهم كخفض و الارحام[1] ونصب « ليجزى قوما[2] » و الفصل بين المضافين فى قراءة ابن عامر فى قوله « و كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم[3]

(١) سورة النساء رقم : ١

(٢) سورة الجاثية رقم : ١٤

(٣) سورة الأنعام رقم : ١٣٧

و غير ذلك .

قال الدانى :

و أئمة القراء : لا تعمل فى شى من حروف القرآن على الافشاء فى اللغة ، والأقيس فى العربية . بل على الأثبت فى الأثر الأصح فى النقل ، و اذا اثبتت الرواية لم يردها قياس عربية و لا فشو لغة ؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها و المصير اليها . انتهى .

(تنبيهات)

الأول :

لا خلاف أن كل ما هو من القرآن يجب أن يكون متواترا .

الثانى :

قال الزركشى فى البرهان : القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحى المنزل على محمد صلى الله عليه و سلم للبيان و الاعجاز ، و القراءات اختلاف ألفاظ الوحى المذكور فى الحروف و كيفيتها من تخفيف و تشديد و غيرهما .

الثالث :

قال ابو شامة : ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هى التى اريدت فى الحديث ، و هو خلاف اجماع أهل العلم قاطبة و انما يظن ذلك بعض أهل الجهل ، و قال : أبو العباس بن عمار . لقد نقل مسبع هذه

السبعة ما لاينبغى له . و اشكل الأمر على العامة بابهامه كل من قل نظره أن هذه القراءات هى المذكورة فى الخبر ، و ليته اذ اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة . و وقع له أيضا فى اقتصاره على كل امام على راويين أنه صار من سمع قراءة راو ثالث غيرهما أبطلها ؛ وقد تكون هى أشهر وأصح و أظهر .

الرابع :

اختلاف القراءات يظهر اختلاف الأحكام ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة فى « لمستم » بالقصر « ولامستم » بالمد ، و جواز وطئ الحائض عند الانقطاع قبل الغسل وعدمه على الاختلاف فى « يطهرن و يطهرن » .

الخامس :

من المهم معرفة توجيه القراءات ، وقد اعتنى به الأئمة و أفردوا فيه كتبا منها الحجة لأبى على الفارس :

حكمة تعدد القراءات

١ ـ التخفيف والتيسير على هذه الأمة فى قراءة القرآن : ففى الناس المرأة والشيخ و الانسان العادى عن لا يقدرون على النطق بغير لهجاتهم وقد آنس الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك ، فطلب من ربه المعافاة فاستجاب له ، وخفف على أمته ، و أنزل القرآن على قراءات متعددة .

٢ ـ شرح الألفاظ : مثلا القراءة التى وردت الآية فيها كما يأتى : « وتكون الجبال كالصوف المنفوش[١] » أفادت فى شرح كلمة [العهن] الواردة فى القراءة الأخرى المعروفة : [و تكون الجبال كالعهن المنفوش] .

٣ ـ بيان حكم من الأحكام : مثل قوله تعالى [و ان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس[٢]] .

قرأ سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه [وله أخ او أخت من أم] بزيادة لفظ « من أم » وكذلك قوله تعالى [فاعتزلوا النساء فى المحيض و لا تقربوهن حتى يطهرن[٣]] .

فقراءة [يطهرن] بالتشديد مبينة لمعنى قراءة التخفيف .

٤ ـ دفع توهم ما ليس مرادا : مثل قوله تعالى [يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله[٤]] قرئ [فامضوا الى ذكر الله] فالقراءة الأولى توهم وجوب السرعة فى المشى الى صلاة الجمعة ولكن القراءة الثانية رفعت هذا التوهم .

٥ ـ تحدى القرآن جميع العرب ، فلو أتى بلغة دون لغة لقال الذين لم يأت بلغتهم : لو أتى بلغتنا لأتينا بمثله .

---

(١) سورة القارعة رقم : ٥

(٢) سورة النساء رقم : ١٢

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٢٢

(٤) سورة الجمعة رقم : ٩

٦ ـ ان وجود القراءات حمل النحويين على توجيهها ، فاغنى هذا التوجيه العربية بعد فقرها .

قال الزركشى : [وقد اعتنى بتوجيه القراءات الأئمة ، و أفردوا فيها كتبا . منها كتاب « الحجة » [لأبى على الفارس وكتاب « الكشف لمكى وكتاب « المحتسب فى توجيه الشواذ لابن جنى .

٧ ـ و من فوائد تعدد القراءات اظهار سر الله فى كتابه وصيانته له عن التبديل و الاختلاف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة .

الملاحظات حول القراء السبعة

١ ـ ان هؤلاء القراء السبعة من أنصار العلم المعروفة التى انبثق منها علم النبوة كما يقول ابن تيمية ـ و هى : مكة والمدينة ، و الكوفة و البصرة ، و الشام و يلاحظ من معرفة هؤلاء القراء أن حظ الكوفة أكبر من غيرها من الأمصار اذكان منها ثلاثة من سبعة وهم : عاصم وحمزة والكسائى .

٢ ـ ان هؤلاء القراء جميعا كانوا من رجال القرن الثانى الهجرى أدرك معظمهم القرن الأول ، وتلقوا عن الصحابة ، ولذلك فقدكان معظمهم من التابعين ، و أولهم وفاة هو ابن عامر توفى سنة ١١٨ وآخرهم وفاة الكسائى توفى سنة ١٨٩

٣ ـ ان هؤلاء القراء من الموالى باستثناء قارئين وهما أبو عمرو بن العلاء

و عبد الله بن عامر .

٤ - ان هؤلاء القــراء جميعا كانوا من المعمرين الذين أتيح لهم أن يقرئوا الناس القرآن مدة طويلة ، و تخرج عليهم أجيال .

٥ - ان هؤلاء القراء كانوا جميعا من العلم و الورع و الاستقامة و الخلق بالمكان الأسمى .

٦ - يلاحظ أن بعض القراء تلقى رواتهم القراءة عنهم مباشرة و بعضهم تلقى الرواة المذكورون القراءة عنهم بالواسطة .

و هذا و الله أعلى و أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

(علم المحكم والمتشابه)

نستطيع بحول الله تعالى أن نقول : ان القرآن كله محكم ، و ذلك ان أردنا باحكامه اتقانه وجمال نظمه بحيث لا يتطرق اليه الضعف فى ألفاظه و معانيه ، و على هذا المعنى أنزل الله قوله الكريم : « كتاب أحكمت آياته[1] » كما نستطيع أن نقول : ان القرآن كله متشابه ، و ذلك ان أردنا بتشابهه تماثل آياته فى البلاغة والاعجاز وصعوبة المفاضلة بين أجزائه ، و بهذا المعنى أنزل الله قوله الحكيم .

« الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى[2] » كما نستطيع أن نقول أيضا ان بعضه محكم وبعضه متشابه و فى ذلك يقول الله تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله و الراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر

(١) سورة هود عليه السلام رقم : ١
(٢) سورة الزمر رقم : ٢٣

الا أولو الألباب[1] » .

من الواضح فى هذه الآية أن المحكم يقابل المتشابه ؛ كما أن الراسخين فى العلم يقابلون الذين فى قلوبهم زيغ ، وقد حمل هذا التقابل العلماء على تعريف كل من المحكم و المتشابه فكثرت آراؤهم فى هذا الموضوع و تعددت وجهات نظرهم ، ولكن آراءهم ترجع فى النهاية الى أن المحكم هو الذى يدل على معناه بوضوح لا لبس فيه و المتشابه هو الذى يخلو من الدلالة الراجحة على معناه ، وقد أورد السيوطى فى « الاتقان » [تعريفات عديدة لهما فيدخل فى المحكم النص والظاهر أما النص فلانه اللفظ الذى وضع للمعنى الراجح المتبادر الى الذهن . و يدخل فى المتشابه المجمل و المؤول و المشكل ، لأن المجمل يحتاج الى تفصيل والمؤول لا يدل على معنى الا بعد التأويل ، والمشكل خفى الدلالة فيه لبس وابهام و وضوح الدلالة فى المحكم يغنينا عن البحث عنه لأنه قراءتنا له كافية لافهامنا المراد منه ، ولكن خفاء المتشابه جدير أن يشغلنا بعض الوقت لكى نعرفه ثم نتجنبه فلا نتبعه كالذين فى قلوبهم زيغ .

أن أكثر العلماء يذهبون الى أن المتشابه لا يعلم تاويله الا الله ؛ و يوجبون فى الآية الوقف على لفظ الجلالة ، أما الراسخون فى العلم فقد انتهى علمهم بتاويل القرآن الى أن قالوا : « آمنا به كل من عند ربنا » .

لكن أبا الحسن الأشعرى كان يرى أن الوقف فى الآية على قوله

---

(١) سورة آل عمران رقم : ٧

تعالى « و الراسخون فى العلم » فهم على ذلك يعلمون تاويل المتشابه وقد أوضح هذا الرأى أبو إسحاق الشيرازى واتنصر له فقال « ليس شىء استأثر الله تعالى بعلمه ، بل وقف العلماء عليه لأن الله تعالى أورد هذا مدحا للعلماء : فلو كانوا لا يعرفون معناه لشاركوا العامة » ، وتوسط الراغب الأصفهانى[1] فقسم المتشابه من حيث امكان الوقوف على معناه الى ثلاثة أضرب :

ضرب لا سبيل الى الوقوف عليه ، كوقت الساعة وخروج الدابة ونحو ذلك .

وضرب للانسان أسباب الى معرفته كالالفاظ الغريبة و الاحكام المغلقة .

و ضرب متردد بين الأمرين . يختص به بعض الراسخين فى العلم و يخفى على من دونهم وهو المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس : ز « اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التاويل[1] » ومما لا يدع مجالا للشك ـ أن فى رأى الراغب قصدا واعتدالا فذات الله وحقائق صفاته لا يعلمها الا هو ، و فى المعنى يقول فى دعائه أنت كما أثنيت على نفسك ، لا أحصى ثناء عليك « والعلم بالغيب مما استأثر الله به » مصداقا للآية الكريمة : « ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما فى الأرحام و ما تدرى نفس ماذا تكسب غدا و ما تدرى نفس باى أرض تموت ان الله عليم خبير[2] » ،

(١) الراغب الأصفهانى هو الحسين بن المفضل ، ابو القاسم ، أديب كبير ، أهم كتبه (مفردات القرآن) توفى سنة ٥٠٢

(٢) سوره لقمان رقم : ٣٤

ولقد رأينا فى بحث فواتح السور كيف أحيطت هذه الحروف بجو من التورع عن تاويل حقائقها وعرفنا أن آراء العلماء فيها انما كانت تدور حول حكمة وجودها لا حول كنه حقيقتها فنى خفاء مثل هذه الأمور وعجز الانسان عن الوصول اليها ما يقلل من غروره و يخفض من كبريائه ، و يحمله على أن يقول : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم[1] » .

و الآيات المشكلة الواردة فى صفات الله تعالى ، كقوله « الرحمن على العرش استوى » هى من أهم ما يتعلق بهذا الضرب من المتشابه الذى لا سبيل لأحد من البشر الى الوقوف عليه وقد أفردها ابن اللبان بكتاب سماه « رد المتشابهات » الى الآيات المحكمات[2] .

و ذكر الرازى الحكمة من متشابه الصفات فقال : « ان القرآن يشتمل على دعوة الخواص و العوام ، و طبائع العوام تنفر فى أكثر الأمور عن ادراك الحقائق ، فمن سمع من العوام فى أول الامر اثبات موجود ليس بجسم و لا متحيز و لا مشار اليه ، ظن أن هذا عدم ونفى محض فيقع فى التعطيل ، فكان الأنسب أن يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما يناسب ما تخيلوه و ما توهموه ، و يكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح ، فالقسم الاول

---

(١) سورة البقرة رقم ٣٢

(٢) ابن اللبان هو محمد بن أحمد عبد المؤمن الأسعردى شمس الدين مفسر من أهل دمشق توفى سنة ٧٤٩ له تفسير مخطوط .

وهو الذى يخاطبون به فى أول الأمر - من باب المتشابه ، والقسم الثانى وهو الذى يكشف عن الحق الصريح هو المحكم » .

وللعلماء فى متشابه الصفات مذهبان :

الأول : مذهب السلف ، وهو الايمان بهذه المتشابهات و تفويض معرفتها الى الله تعالى . سئل الامام مالك عن الاستواء فقال « الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، واظنك رجل سوء ، أخرجوه عنى » .

الثانى : مذهب الخلف ، وهو حمل اللفظ الذى يستحيل ظاهره على معنى يليق بذات الله . وينسب هذا المذهب الى امام الحرمين[1] ، و جماعة من المتأخرين .

ولتوضيح المذهبين نذكر بعض الآيات القرآنية الواردة فى متشابه الصفات فمن ذلك « الرحمن على العرش استوى[2] » ، « وجاء ربك والملك صفا صفا[3] » ، « و هو القاهر فوق عباده[4] » ، « يا حسرتا على ما فرطت فى

---

(١) امام الحرمين هو عبد الملك بن أبي عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى الشافعى العراقى . ابو المعالى كان شيخ الامام الغزالى و من أعلم أصحاب الشافعى توفى سنة ٤٤٨ هـ .

(٢) سورة طه رقم : ٥

(٣) سورة الفجر رقم : ٢٢

(٤) سورة الأنعام رقم : ٦١

جنب الله[1] » .

٢ ـ وقد أخرج الدارمى عن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له ابن صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فارسل اليه عمر وقد أعد له عراجين النخل ، « و يبقى وجه ربك[2] » « و لتصنع على عينى[3] » « يد الله فوق أيديهم[4] » « و يحذركم الله نفسه[5] » .

فالسلف ينزهون الله عن هذه الظواهر المستحيلة عليه ، و يؤمنون بها بالغيب كما ذكرها الله ، و يفوضون علم حقائقها اليه ، أما الخلف فيحملون الاستواء على العلو المعنوى بالتدبير من غير معاناة ، و مجىء الله على مجىء أمره[6] ، وفوقيته المراد بها العلو من غير جهة . وقد قال فرعون ـ « و انا فوقهم قاهرون » .

و مما لا شك فيه أنه لم يرد العلو المكانى ، هكذا قال السيوطى

(١) سورة الزمر رقم : ٥٦
(٢) سورة الرحمن رقم : ٢٧
(٣) سورة طه رقم : ٣٩
(٤) سورة الفتح رقم : ١٠
(٥) سورة آل عمران رقم : ٢٨
(٦) وقد حكى ابن الجوزى عن القاضى أبى يعلى تأويل الآمر فى قوله تعالى « أو يأتى ربك » سورة الانعام آية رقم ١٥٨ قال : و هل هو الا أمره ؟ بدليل قوله « أو يأتى امر ربك » سورة النحل آية رقم ٣٣

فى « الاتقان » « وجنبه » فى طاعته وحقه لأن التفريط انما يقع فى ذلك ولا يقع فى الجنب المعهود ، و وجهه على ذاته ، و عينه » على عنايته ويده على قدرته ونفسه على عقوبته ، و هكذا يؤول الخلف - على هذا المنوال - جميع ما ورد من رضى الله وحبه وغضبه و سخطه وحياته يحملها على أقرب مجاز ، ويقولون لا يراد من هذه الألفاظ الا لازمها .

وقد فهم ابن اللبان فى كتابه « رد المتشابهات » الحكمة من ورود هذه الآيات فقال : « من المعلوم أن أفعال العباد لا بد فيها من توسط الجوارح مع أنها منسوبة اليه تعالى ، و بذلك يعلم أن لصفاته تعالى فى تجلياتها مظهرين :

مظهر عادى منسوب لعباده و هو الصور و الجوارح الجسمانية ، و مظهر حقيق منسوب اليه ؛ و قد أجرى عليه أسماء المظاهر العادية المنسوبة لعباده على سبيل التقريب لافهامهم ، و التأنيس لقلوبهم ، و لقد نبه فى كتابه على القسمين و أنه منزه عن الجوارح فى الحالين ، فنبه على الأول بقوله « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » فهذا يفهم أن كل ما يظهر على أيدى العباد فهو منسوب اليه تعالى ، و نبه على الثانى بقوله فيما أخبر عنه نبيه صلى الله عليه و سلم فى صحيح مسلم « و لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به » الخ . الحديث .

و قد حقق الله ذلك لنبيه بقوله « ان الذين يبايعونك انما يباعون الله

و بقوله « و ما رميت اذ رميت و لكن الله رمى » .

وكأنى بابن اللبان هنا يستشعر ـ بذوقه الأدبى الرفيع ـ ما فى الكتابة عن الحقائق الدينية الكبرى من الحسن والجمال فبهذا الأسلوب الرمزى ترسم فى الخيال الانسانى صورة حسيـــة عن الفكرة المجردة ، و تقرب الى الناس فى جميع الاجيال أسمى الحقائق بواسطة الخيال .

ولعـــل اشتمال القرآن على المتشابه وعدم اقتصاره على المحكم وحده أن يكون حافزا للمؤمنين على الاشتغال بالعلوم الكثيرة التى تقدرهم على فهم الآيات المتشابهات فيتخلصون من ظلمة القيـــد ؛ و يقرؤون القرآن متدبرين خاشعين .

فوائد المتشابه

قد يرد سؤال هو : ما الحكمة فى انزال المتشابه و وجوده ؟ والجواب على ذلك أن فوائد المتشابه تختلف بالنسبة الى ما يمكن علمه و الى ما لا يمكن علمه .

أولا : فوائد المتشابه الذى يمكن علمه عديدة نذكر منها أربعة هى :

١ ـ حث العلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه .

٢ ـ ظهور التفاضل وتفاوت الدرجات اذ لو كان القرآن كله محكما لا يحتاج الى تاويل لاستوت منازل الخلق و لم يظهر فضل العالم على غيره .

٣ ـ الحصول على الثواب الأكبر ؛ وذلك لأن المتشابه يوجب مزيد المشقة

فى الوصول الى المراد ، و زيادة المشقة توجب مزيد الثواب .

٤ ـ تحصل العلوم الكثيرة ، و ذلك لأن المتشابه يوجب فهمه التعمق فى معرفة النحو و المعانى وغيرهما و الوقوف على أساليب العرب و العلوم الاخرى .

ثانيا : فوائد المتشابه الذى لا يمكن علمه :

١ ـ ابتلاء العباد بالوقوف عنده ، و التوقف فيه ، و التفويض و التسليم و التعبد بالاشتغال من جهة التلاوة كالمنسوخ و ان لم يجز العمل بما فيه

٢ ـ اقامة الحجة على العرب البلغاء الأنبياء لأن القرآن نزل بلسانهم ولغتهم ومع ذلك فقد عجزوا عن الوقوف على معناه .

(تنبيه)

هذا هو المحكم والمتشابه . ونود أن نشير الى ان هاتين الكلمتين وردتا فى القرآن بمعان أخرى .

وذلك مثل قوله تعالى [كتاب أحكمت آياته[١]] أى فى النظم والوصف.

و مثل قوله تعالى [كتابا متشابها[٢]] أى يشبه بعضه بعضا و يصدق بعضه بعضا ، انتهى بتصرف .

(١) سورة هود رقم : ١

(٢) سورة الزمر رقم : ٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

(العـام والخاص)

العـام : هو ـ لفظ يستغرق الصالح من غير حصر : و القرآن الذى نزل بلسان عربي مبين ؛ يعبر عن العام بالألفاظ التى وضعها العرب لافادة الشمول والاستغراق . وقد دل الاستقراء على أن ألفاظ العموم سبعة لا تخرج عنها ، واليك بيانها مع التمثيل من واقع النصوص القرآنية :

أولا : لفظ كل ، وجميع ، وكافة ، وما فى معناها نحو « كل من عليها فان[1] »
و هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعـا[2] » « ادخلوا فى السلم كافة[3] » .

ثانيـا : أسماء الموصول افرادا و تثنية وجمعـا ، و تذكيرا وتانيثا نحو « و الذى
قال لوالديه أف لكما[4] « فان المراد به كل من صدر منه القول بدليل
قوله بعد « أولئك الذين حق عليهم القول » .

---

(١) سورة الرحمن رقم : ٢٦

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٩

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٠٨

(٤) سورة الأحقاف رقم : ١٧

« واللذان يأتيانها منكم فآذوهما[1] » ، « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة[2] »
« واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم[3] » .

ثالثا : المعرف بأل تعريف الجنس مفردا كان نحو « و السارق و السارقة فاقطعوا أيديهما[4] » . أو جمعا نحو « قد أفلح المؤمنون[5] » .

رابعا : الجمع المعرف بالاضافة نحو « يوصيكم الله فى أولادكم[6] » ، « خذ من أموالهم صدقة[7] » .

خامسا : أسماء الشرط ، نحو « ومن يفعل ذلك يلق أثاما[8] » .

سادسا : النكرة فى سياق النفى ؛ نحو « و ان من شىء الا عندنا خزائنه[9] .

سابعا : النكرة فى سياق الشرط ، نحو [و ان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله[10] .

---

(١) سورة النساء رقم : ١٦
(٢) سورة يونس رقم : ٢٦
(٣) سورة النساء رقم : ١٥
(٤) سورة المائدة رقم : ٣٨
(٥) سورة المؤمنون رقم : ١
(٦) سورة النساء رقم ١١
(٧) سورة التوبة رقم ١٠٣
(٨) سورة الفرقان رقم : ٦٨
(٩) سورة الحجر رقم : ٢١

(أقسام العام)

يتقسم العام الى ثلاثة أقسام :

الأول :

العام الباقى على عمومه . قال القاضى جلال الدين البلقينى : و مثاله عزيز ، اذ ما من عام الا و يتخيل فيه التخصيص ، فقوله ـ « يا أيها الناس اتقوا ربكم » قد يخص منه غير المكلف ، « وحرمت عليكم الميتة خص منه حالة الاضطرار و منه السمك والجراد ، وحرم الربا خص منه العرايا . و ذكر الزركشى فى البرهان أنه كثير فى القرآن و أورد منه ـ « و الله بكل شىء عليم » ان الله لا يظلم الناس شيئا : « و لا يظلم ربك أحدا » الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم » الله الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة « الله الذى جعل لكم الأرض قرارا » .

وحاول السيوطى أن يستنبط من القرآن مثالا على ذلك فوجده فى الآية « حرمت عليكم إمهاتكم[1] » فانه لا خصوص فيها و العموم مقصود فى جميع المحارم المذكور فى الآية ، ولم يكن الأمر محوجا الى هذا الجهد وذلك العناء فالعام الباقى على عمومه موجود فى القرآن بكثرة كما وضح لنا من الأمثلة المذكور آنفا ، ولكنه قليل بالنسبة الى العام المراد به الخصوص .

= (١٠) سورة التوبة رقم : ٦

---

(١) سورة النساء رقم : ٢٢

الثـانى : العام المراد به الخصوص :

و هو ـ ما يكون فيه الانتقال من العموم لغرض بلاغى يزيد التعبير جمـالا ، والفكرة وضوحا كقوله تعالى « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله[1] » فالمقصود بالناس هنا انسان واحد وهو محمد صلى الله عليه و سلم ولـكنه جمع و لم يفرد لجمعه ما فى الناس من الخصال الحميـــدة و لأنه المثل الأعلى للانسانية . و قوله « ثم افيضوا من حيث أفاض الناس[2] » أخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس فى قوله ـ من حيث أفاض الناس ـ قال ابراهيم : قال فى المحتسب يعنى آدم لقوله ـ فنسى و لم نجد له عزما ـ و قوله تعالى ـ فنادته الملائكة[3] أى جبريل الى غير ذلك من الأمثلة .

الثـالث :

العام المخصوص و أمثلته فى القرآن كثيرة جدا وهى أكثر من المنسوخ ومن أمثلته « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا[4] » ، وقوله « ما كان لأهل المدنية و من حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله[5] » .

---

(١) سورة النساء رقم : ٥٣

(٢) سورة البقرة رقم : ١٩٩

(٣) سورة آل عمران رقم : ٣٩

(٤) سورة آل عمران رقم : ٩٧

(٥) سورة التوبة رقم : ١٢٠

الفرق بين العام المراد به الخصوص ؛ والعام المخصوص

و ذكر العلماء بينهما فروقا خمسة :

أحدهما :

أن الأول لم يرد شموله لجميع الأفراد ، لا من جهـــة تناول اللفظ و لا من جهـــة الحكم بل هو ذو أفراد استعمل فى فرد منها . و الثانى أريد عمومه وشموله لجميع الأفراد من جهة تناول اللفظ لها لا من جهة الحكم .

ثانيهـا :

أن الأول مجاز قطعا لنقل اللفظ عن موضعه الأصلى بخلاف الثانى فان فيه مذاهب : أصلها أنه حقيقة .

ثالثهـا :

أن قرينة الأول عقلية ، والثانى لفظية .

رابعهـا :

أن قرينة الأول لا تنفك عنه بحال من الأحوال ، و قرينة الثـانى قد تنفك عنه .

خامسها :

أن الأول يصح أن يراد به واحد اتفاقا ، و فى الثانى خلاف .

(أقسام المخصص)

ينقسم المخصص بالنسبة للمخصص له الى متصل ومنفصل فالمتصـــل

خمسة أنواع واليك بيانها مع التمثيل من واقع النصوص القرآنية :

١ ـ الاستثناء نحو ـ « و الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة و لا تقبلوا لهم شهادة و أولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا[١] » .

٢ ـ الوصف نحو ـ « و ربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن[٢] » .

٣ ـ الشرط نحو ـ « و الذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا[٣] » .

٤ ـ الغاية نحو ـ « و لا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله[٤] » .

٥ ـ بدل البعض نحو ـ « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا[٥] » و المنفصل :

هو ما كان فى آية أخرى فى محل آخر ، أو حديث أو اجماع أو قياس فمن أمثلة ما خص بالقرآن قوله تعالى « و المطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة

(١) سورة النور رقم : ٤

(٢) سورة النساء رقم : ٢٣

(٣) سورة النور رقم : ٣٣

(٤) سورة البقرة رقم : ١٩٦

(٥) سورة آل عمران رقم : ٩٧

قروء[1] » خص بقوله « اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة[2] ، ومن امثلة ما خص بالحديث قوله تعالى - ز » .
« وأحل الله البيع[3] » خص منه البيوع الفاسدة و هى كثيرة بالسنة ، و حرم الربا - خص منه العرايا بالسنة .

و من أمثلة ما خص بالاجماع آية المواريث خص منها الرقيق فلا يرث بالاجماع ذكره مكى ، و من أمثلة ما خص بالقياس آية الزنا - « فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة[4] » خص منها العبد بالقياس على الأمة المنصوصة فى قوله - « فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب » المخصص لعموم الآية ، ذكره مكى ايضا .

(فصل)

من خاص بالقرآن ما كان مخصصا لعموم السنة وهو عزيز ومن أمثلته قوله تعالى « حتى يعطوا الجزية[5] ، خص عموم قوله صلى الله عليه و سلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله » ، و قوله « ومن أصوافها

(١) سورة البقرة رقم : ٢٢٨

(٢) سورة الأحزاب رقم : ٤٩

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٧٥

(٤) سورة النور رقم : ٢

(٥) سورة التوبة رقم : ٢٩

و أوبارها[1] ، خص عموم قوله صلى الله عليـــه و سلم « و ما أبين من حى فهو ميت » .

و قوله تعالى ز « و العـاملين عليها و المؤلفة قلوبهم[2] » خص عموم قوله عليه السلام « لا تحل الصدقة لغنى و لا لذى مرة سوى » و قوله تعالى « فقـاتلوا التى تبغى[3] » خص عموم قوله عليه الصلاة و السلام « اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل و المقتول فى النار » .

« تفريع »

الأول :

اذا سيق العام للمدح أو الذم فهل هو باق على عمومه ؟ فيه مذاهب أحدها : أنه باق على عمومه ، اذ لا صارف عنـــه و لا تنافى بين العموم وبين المدح أو الذم .

والثانى :

أنه ليس باق على عمومه لأنه لم يسق للتعميم بل للمدح أو الذم .

و الثالث :

وهو الأصح . التفصيل فيعم ان لم يعارضه عام اخر لم يسق لذلك

(١) سورة النحل رقم : ٨٠

(٢) سورة التوبة رقم : ٦٠

(٣) سورة الحجرات رقم : ٩

ولا يعم ان عارضه ذلك جمعا بينهما مثاله ولا معارض قوله تعالى « ان الأبرار لفى نعيم و ان الفجار لفى جحيم[1] » ومع المعارض قوله تعالى « و الذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم[2] » فانه سيق للدح ، وظاهره يعم الاختين بملك اليمين جمعا ؛ و عارضه فى ذلك « و أن تجمعوا بين الأختين[3] » فانه شامل لجمعهما بملك اليمين و لم يسق للدح لحمل الأول على غير ذلك بان لم يرد تناوله له . ومثاله فى الذم « والذين يكنزون الذهب والفضة[4] » فانه سيق للذم وظاهره يعم الحلى المباح ؛ وعارضه فى ذلك حديث جابر « ليس فى الحلى زكاة » و حمل الأول على غير ذلك .

الثـانى :

اختلف فى الخطاب الخاص به صلى الله عليه وسلم نحو « يا أيها النبى» « يا أيها الرسول » هل يشمل الأمة ؟ فقيل يشملها لأن أمر القـدوة أمر لأتباعه معه عرفا . والأصح فى الأصول المنع لاختصاص الصيغة .

والثالث :

اختلف فى الخطاب بيا أيها الناس ، هل يشمل الرسول صلى الله عليه

(١) سورة الانفطار رقم : ١٣ - ١٤

(٢) سورة المؤمنون رقم : ٥ - ٦

(٣) سورة النساء رقم : ٢٣

(٤) سورة التوبة رقم : ٣٤

وسلم ؟ .

على مذاهب أصحها وعليه الأكثرون أنه يشمله لعموم الصيغة له . أخرج ابن أبى حاتم عن الزهرى قال : اذا قال الله يا أيها الذين آمنوا افعلوا « فالنبى صلى الله عليه و سلم منهم ، والثانى لا لأنه ورد فى لسانه لتبليغ غيره ولما له من الخصائص ، والثالث ان اقترن بقل لم يشمله لظهوره فى التبليغ و ذلك قرينة عدم شموله والا فيشمله ، الرابع : الاصح فى الأصول أن الخطاب يا أيها الناس يشمل الكافر والعبد لعموم اللفظ ، وقيل لا يعم الكافر بناء على عدم تكليفه بالفروع ، و لا العبد لصرف منافعه الى سيده شرعا ، الخامس : اختلف فى الخطاب يا أهل الكتاب هل يشمل المؤمنين ؟ فالأصح أنه لا يشملهم لأن اللفظ قاصر على من ذكر ، واختلف فى الخطاب يا أيها الذين آمنوا هل يشمل أهل الكتاب ؟ فقيل لا - بناء على أنهم غير مخاطبين بالفروع وقيل يشملهم واختاره ابن السمعانى قال : و قوله يا أيها الذين آمنوا خطاب تشريف لا تخصيص .

انتهى بتصرف

بسم الله الرحمن الرحيم

(علم الناسخ و المنسوخ)

النسخ لغة : يأتى على معان عديدة .

[١] ياتى بمعنى الازالة و منـــه قوله تعالى « فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته[١] » و منه نسخت الشمس الظل ، و نسخ الشيب الشباب

[٢] و ياتى بمعنى التبديل كقوله « و اذا بدلنا آية مكان آية[٢] » .

[٣] و بمعنى التحويل ـ كتناسخ المواريث ، لأن تناسخ المواريث ، هو تحويل الميراث من واحد الى واحد .

[٤] ويأتى بمعنى النقل من موضع الى موضع ، ومنه « نسخت الكتاب » اذا نقلت ما فيه حاكيا للفظه و خطه . قال مكى : و هذا الوجه لا يصح أن يكون فى القـــرآن ، و أنكر على النحاس اجازته ذلك ، محتجا بان الناسخ فيه لا يأتى بلفظ المنسوخ ، و انما ياتى بلفظ آخر . و قال الامام أبو عبد الله محمد بن بركات السعدى : يشهد لما قاله النحاس قوله تعالى

---

(١) سورة الحج رقم : ٥٢

(٢) سورة النحل رقم : ١٠١

« انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون[1] » و قال : [وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم[2] »] و معلوم أن ما نزل من الوحى نجوما جميعـــه فى أم الكتاب و هو اللوح المحفوظ كما قال : [فى كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون[3]] .

النسخ اصطلاحا : « رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى » و هـــذا أدق تحديد اصطلاحى لهـذه اللفظة يتناسق فى آن واحد مع لسان العرب الذى يرى النسخ ازالة ورفعا أفرده بالتصنيف خلق لا يحصون عددا منهم أبو عبيد القاسم بن سلام و أبو داود السجستانى و أبو جعفر النحاس و ابن الأنبارى وغيرهم . و من ظريف ما حكى فى كتاب هبة الله أنه قال فى قوله تعالى : « و يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا[4] » منسوخ من هذه الجملة [و أسيرا] والمراد بذلك أسير المشركين فقرئ الكتاب عليه وابنته تسمع ، فلما انتهى الى هذا الموضع قالت : أخطأت يا أبت فى هذا الكتاب . فقال لها وكيف يا بنية ؟ قالت : أجمع المسلمون على أن الأسير يطعم و لا يقتل جوعا قال الأئمة : لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله الا بعـــد أن يعرف منه

(١) سورة الجاثية رقم : ٢٩

(٢) سورة الزخرف رقم : ٤

(٣) سورة الواقعة رقم : ٧٨ - ٧٩

(٤) سورة الانسان رقم : ٨

الناسخ و المنسوخ ، وقد قال على بن أبى طالب لقاص : أتعرف الناسخ و المنسوخ ؟ قال الله أعلم ، قال هلكت وأهلكت . . والنسخ مما خص الله به هذه الأمة لحكم منها التيسير ، وقد أجمع المسلمون على جوازه و وقوعه سمعا وعقلا و أنكره اليهود ظنا منهم أنه بداء كالذى يرى الرأى ثم يبدو ، و هو باطل لأنه بيان مدة الحكم كالاحياء بعد الاماتة وعكسه ، والمرض بعد الصحة وعكسه والفقر بعد الغنى وعكسه ، و ذلك لا يكون بداء فكذا الأمر والنهى . واختلف العلماء فقيل : لا ينسخ القرآن الا بقرآن كقوله تعالى « ما ننسخ من آية أوننسها نات بخير منها أو مثلها » قالوا : و لا يكون مثل القرآن وخيرا منه الا قرآن . وقيل بل ينسخ القرآن بالسنة لأنها أيضا من عند الله قال تعالى « و ما ينطق عن الهوى » وجعل منه آية الوصية الآتية ، و قيل ان السنة اذا كانت بامر الله من طريق الوحى نسخت ؛ و ان كانت باجتهاد فلا تنسخه حكاه ابن حبيب النيسابورى فى تفسيره . و قال الشافعى حيث وقع نسخ القرآن بالسنة فمعها قرآن عاضد لها ، وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له ليتبين توافق القرآن والسنة ؛ الجمهور على أنه لا يقع النسخ الا فى الأمر والنهى ولو بلفظ الخبر ، أما الخبر الذى ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ و منه الوعد و الوعيد ، وقيل بل احداهما تنسخ الأخرى ثم اختلفوا فقيل : الآيتان اذا أوجبتا حكمين مختلفين وكانت احداهما متقدمة على الأخرى ، فالمتاخرة ناسخة للاولى كقوله تعالى « ان ترك خيرا الوصية

للوالدين والأقربين[1] ، ثم قال بعد ذلك [ولأبويه لكل واحد منهما السدس[2]] وقال تعالى [فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث[2] ، قالوا فهـذه ناسخة للاولى ، ولا يجوز أن يكون لهما الوصية والميراث .

وقيل : بل ذلك جائز ، وليس فيهما ناسخ ولا منسوخ ، وانما نسخ الوصية للوارث بقوله عليـه الصلاة والسلام : « لا وصية لوارث » وقيل ما نزل بالمدينة ناسخ لما نزل بمكة .

ويجوز نسخ الناسخ فيصير الناسخ منسوخا ، وذلك كقوله : [لكم دينكم ولى دين[3]] نسخها بقوله تعالى : [فاقتلوا المشركين[4]] ثم نسخ هذه أيضا بقوله : [حتى يعطوا الجزية عن يد[5]] وقوله تعالى : [فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بامره[6]] ، وناسخه قوله تعالى : [فاقتلوا المشركين[4]] ؛ ثم نسخها : [حتى يعطوا الجزية[5]] .

(تنبيه)

قال ابن الحصار : انما يرجع فى النسخ الى نقل صريح عن رسول الله

---

(١) سورة البقرة رقم : ١٨٠

(٢) سورة النساء رقم : ١١

(٣) سورة الكافرون رقم : ٦

(٤) سورة التوبة رقم : ٥

(٥) سورة التوبة رقم : ٢٩

(٦) سورة البقرة رقم : ١٠٩

صلى الله عليـــه و سلم أو عن صحابى يقول آية كذا نسخت كذا . قال : وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به مع علم التاريخ ليعرف المتقدم من المتاخر . قال : ولا يعتمد فى النسخ قول عوام المفسرين ؛ بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح و لا معارضة بينـــة ؛ لأن النسخ يتضمن رفع حكم او اثبات حكم تقرر فى عهده صلى الله عليه وسلم ، والمعتمد فيـــه النقل والتاريخ دون الرأى والاجتهاد قال : والناس فى هذا بين طرفى نقيض فمن قائل لا يقبل فى النسخ أخبار الآحاد العدول ، و من متساهل يكتفى فيه بقول مفسر أو مجتهد ، والصواب خلاف قولهما. انتهى .

تنبيهـات

التنبيه الأول :

[فى تقسيم سورة القرآن بحسب ما دخله من النسخ و ما لم يدخله]

اعلم أن سورة القرآنــ الكريم [تنقسم] بحسب ما دخله النسخ و ما لم يدخله الى أقسام :

احداها ما ليس فيـــه ناسخ و لا منسوخ ، و هى ثلاث و أربعون سورة فقط و هذه السور تنقسم الى ما ليس فيه أمر و لا نهى و الى ما فيه نهى لا أمر .

و الثـانى :

ما فيه ناسخ و ليس فيه منسوخ ، و هى ست سور .

الثالث :

ما فيه منسوخ و ليس فيه ناسخ ، و هو أربعون سورة .

الرابع :

ما اجتمع فيه الناسخ و المنسوخ ، و هى احدى و ثلاثون سورة . و من غريب هذا النوع آية أولها منسوخ وآخرها ناسخ ، قيل و لا نظير لها فى القرآن ، و هى قوله تعالى : [يايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم[1]] ، يعنى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فهذا ناسخ لقوله : [عليكم أنفسكم] ذكره ابن العربى فى احكامه .

و لا يعنينا ابدا أن نسرد أسماء السور فى هذه الاقسام فان سردها نفسها قائم على أساس فاسد من الغلو والتعسف ، و حسبك أن السور المحكمات الخاليات من النسخ لم تزد ـ فى هذا التقسيم ـ على ثلاث و أربعين سورة كأن القاعدة هى النسخ لا الاحكام ، وكان الأصل فى سور القرآن أن يكون فيها ناسخ أو منسوخ .

و الحق أن الأصل فى آيات القرآن كلها الاحكام لا النسخ الا أن يقوم دليل صريح على النسخ فلا مفر من الأخذ به و ما زال العلماء المحققون بالآيات التى قيل انها منسوخة يبحثونها من وجوهها المختلفة حتى حصروا ما تصلح منها لدعوى النسخ فى عدد قليل ؛ وتعقب آخرون هذا

(١) سورة المائدة رقم : ١٠٥

القليل نفسه فآثروا فى طائفة منه القول بالاحكام على القول بالنسخ : فالسيوطى مثلا حصر دعوى النسخ فى احدى وعشرين آية على خلاف فى بعضها[1] ثم استثنى آيتى الاستئذان[2] والقسمة فذكر أن الأصح فيهما أنهما محكمتان فصارت الآيات المنسوخة فى نظره لا تزيد على تسع عشرة آية ، ولولا خشية الاستطراد لتعاقبناها فوجدنا الصالح منها للنسخ لا يزيد على عشر فقط بيد أننا نفضل أن نحيل الطالب على ما ذكره السيوطى لعله يكتشف من تلقاء نفسه - فى ضوء ما ذكرنا عن النسخ - ما عسى أن يكون أقرب الى التخصيص أو تأخير البيان أو الانساء ، و ما عسى أن يدخل حقا فيما نسخه الله من آيات فاتى باحسن منها أو مثلها وهو على كل شىء قدير .

التنبيه الثانى

[فى القسم الثانى فى ضروب النسخ فى القرآن]

النسخ فى القرآن على ثلاثة أضرب :

(١) راجع الاتقان ٢/٣٧ - ٣٨ و قد ذكر السيوطى هنا جميع هذه الآيات الصالحة للقول بالنسخ .

(٢) يراد بآية الاستئذان قوله تعالى « ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم و الذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات » و هى آية لا ريب فى احكامها .

أما آية القسمة فهو قوله تعالى (و اذا حضر القسمة أولو القربى و اليتامى و المساكين فارزقوهم منه و قولوا لهم قولا معروفا) فقد قيل انها منسوخة بآية المواريث . و الصحيح أنها ليست منسوخة .

الأول :

ما نسخ تلاوته وبقى حكمه فيعمل به اذا تلقته الأمة بالقبول ، كما روى أنه يقال فى سورة النور « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله » ولهذا قال عمر : لولا أن يقول الناس : زاد عمر فى كتاب الله لكتبتها بيدى . رواه البخارى فى صحيحه معلقا .

الضرب الثانى :

ما نسخ حكمه وبقى تلاوته ، و هو فى ثلاث وستين سورة ، كقوله تعالى : [و الذين يتوفون منكم و يذرون أزواجا[1]] فكانت المرأة اذا مات زوجها لزمت التربص بعد انقضاء العدة حولا كاملا ؛ ونفقتها فى مال الزوج ، و لا ميراث لها ؛ وهذا معنى قوله تعالى : [متاعا الى الحول غير اخراج[2]] فنسخ الله ذلك بقوله : [يتربصن بانفسهن أربعة أشهر وعشرا[1]] و هذا الناسخ مقدم فى النظم على المنسوخ .

قال القاضى أبو المعالى : وليس فى القرآن ناسخ تقدم على المنسوخ الآ فى موضعين ؛ هذا أحدهما ، و الثانى قوله « [يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك[3]] ، فانها ناسخة لقوله تعالى : [لا تحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل

(١) سورة البقرة رقم : ٢٣٤
(٢) سورة البقرة رقم : ٢٤٠
(٣) سورة الاحزاب رقم : ٥٠

بهن من أزواج[1]] .

الثـالث :

نسخهما جميعا ، فلا تجوز قراءته و لا العمل به ، كآية التحريم بعشر رضعات فنسخن بخمس ، قالت عائشة : كان مما أنزل عشر رضعات معلومات ، فنسخن بخمس معلومات فتوفى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هى مما يقرأ من القرآن . رواه مسلم .

وقد تكلموا فى قولها : « و هى مما يقرأ » فان ظاهره بقاء التـلاوة وليس كذلك فمنهم من اجاب بأن المراد قارب الوفاة ، والأظهر أن التلاوة نسخت أيضا و لم يبلغ ذلك كل الناس الا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فتوفى وبعض الناس يقرؤها .

و قال أبو موسى الأشعرى : نزلت ثم رفعت .

(التنبيه الثـالث)

« فى تقسيم القرآن على ضروب من و جه آخر »

قسم بعضهم النسخ من و جه آخر الى ثلاثة أضرب :

الأول :

نسخ المأمور به قبل امتثاله ، و هذا الضرب هو النسخ على الحقيقة ، كامر الخليل بذبح و لده ، وكقوله تعـالى : [اذا ناجيتم الرسول فقـدموا

---

(١) سورة الاحزاب رقم : ٥٢

بين يدى نجواكم صدقة[1]] ثم نسخه سبحانه بقوله تعالى : [أأشفقتم[1] ... الآية]

الثـانى :

و يسمى نسخا تجوزا ؛ و هو ما أوجبه الله على من قبلنا كحتم القصاص [يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الآية[2]] .

ولذلك قال عقب تشريع الدية : [ذلك تخفيف من ربكم ورحمة[3]] وكذلك ما أمرنا الله به أمرا اجماليـا ثم نسخه كنسخه التوجه الى بيت الله المقدس بالكعبة ؛ فان ذلك كان واجبا علينا من قضيـة أمره باتباع الأنبياء قبله ، وكنسخ صوم يوم عاشوراء برمضان .

الثـالث :

ما أمر به لسبب ثم يزول السبب ، كالأمر حين الضعف والقـلة بالصبر والمغفرة للذين يرجون لقاء الله ونحو من عدم ايجاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد ونحوها ؛ ثم نسخه ايجاب ذلك و هذا ليس بنسخ فى الحقيقة و انما هو نسء كما قال تعالى : [أوننسها[4]] .

فالمنسأ هو الأمر بالقتـال ، الى أن يقوى المسلمون ، و فى حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى .

---

(١) سورة المجادلة رقم : ١٢ - ١٣

(٢) سورة البقرة رقم : ١٧٨

(٣) سورة البقرة رقم : ٧٨

(٤) سورة البقرة رقم : ١٠٦

ومن هذا قوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم(۱)] كان ذلك فى ابتداء الأمر ، فلما قوى الحال وجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والمقاتلة عليه ثم لو فرض وقوع الضعف كما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ » عاد الحكم ، وقال صلى الله عليه وسلم : « فاذا رأيت هوى متبعا وشحا مطاعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك .

وهو سبحانه وتعالى حكيم أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حين ضعفه ما يليق بتلك الحال رأفة بمن تبعه ورحمة ، اذ لو وجب لأورث حرجا ومشقة فلما أعز الله الاسلام وأظهره ونصره ، أنزل عليه من الخطاب ما يكافىء تلك الحالة من مطالبة الكفار بالاسلام أو باداء الدية ان كانوا أهل كتاب - أو الاسلام أو القتل ان لم يكونوا أهل كتاب .

ويعود هذان الحكمان - أعنى المسالمة عند الضعف والمسايفة عند القوة - بعود سببهما ، وليس حكم المسايفة ناسخا لحكم المسالمة بل كل منهما يجب امتثاله فى وقته . انتهى بتصرف .

(۱) سورة المائدة رقم : ١٠٥

حكمة النسخ وفوائده

١ ـ مراعاة مصالح العباد .

١ ـ تطور التشريع إلى مرتبـــة الكمال حسب تطور الدعوة وتطور حال الناس .

٢ ـ ابتلاء المكلف و اختباره بالامتثال وعدمه .

٤ ـ إرادة الخير للامة والتيسير عليها ؛ لأن النسخ إن كان إلى أشق ففيه زيادة الثواب ؛ و إن كان إلى أخف ففيه سهولة ويسر .

فوائد معرفة المكى والمدنى

١ ـ معرفة الناسخ والمنسوخ على وجه يحدد الحكم الباقى الواجب اتباعه .

٢ ـ معرفة طريقة القرآن التى سلكها فى تنشئة الأمة الاسلامية و تربيتها و الخطوات التى خطاها فى اقامة الدولة الاسلامية حتى يكون فى ذلك عبرة لدعاة الاصلاح . وقادة الفكر الاسلامى الذين يتطلعون الى استئناف الحياة الاسلامية من جديد .

٣ ـ التعرف على مدى الخدمة الفائقة و العناية البالغة التى حظى بها القرآن الكريم من المسلمين من عهد الصحابة حتى يومنا هذا .

٤ ـ أخيرا فاننا نستفيد من معرفتنا للمكى و المدنى من القرآن فى فهم الآية و تفسيرها على وجه أفضل وأكمل ، و لا سيما ان وقفنا مع ذلك على أسباب النزول .

هذا و الله أعلى و أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

(المطلق و المقيد)

المطلق الدال على الماهية بلاقيد ، وهو مع القيد كالعام مع الخاص .
قال العلماء : متى وجد دليل على تقييد المطلق صير اليه والا فلا ، بل يبقى المطلق على اطلاقه والمقيد على تقييده ، لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب . والضابط أن الله تعالى اذا حكم فى شيء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقا نظر : فان لم يكن له أصل يرد اليه الا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به ، وان كان له أصل يرد غيره لم يكن رده الى أحدهما باولى من الآخر .

فالأول مثل اشتراط الله العدالة فى الشهود على الرجعة والفراق و الوصية فى قوله تعالى [واشهدوا ذوى عدل منكم] - و قوله - شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم .

وقد اطلق الشهادة فى البيوع وغيرها فى قوله - وأشهدوا اذا تبايعتم فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم - و العدالة شرط فى الجميع و منه تقييد ميراث الزوجين بقوله تعالى : [من بعد وصية يوصين بها أو دين[1]]

---

(١) سورة النساء رقم : ١٢

واطلاقه الميراث فيها أطلق فيه ، وكذلك ما أطلق من المواريث كلها بعــد الوصية والدين وكذلك ما اشترط فى كفارة القتل من الرقبة المؤمنة ، واطلاقها فى كفارة الظهار و اليمين ، و المطلق كالمقيد فى وصف الرقبة . وكذلك تقييد الأيدى الى المرافق فى الوضوء ، واطلاقه فى التيمم .

وكذلك : [و من يكفر بالايمـان فقد حبط عمله[1]] فاطلق الاحباط عليه وعلقه بنفس الردة ، و لم يشترط الموافاة عليه . وقال فى الآية الأخرى . [و من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم[2]] وقيدت الردة بالموت عليها والموافاة على الكفر ، فوجب رد الآية المطلقة اليها والا يقضى باحباط الأعمال الا بشرط الموافاة عليها وهو مذهب الشافعى رضى الله عنــه ، و تقييد تحريم الدم بالمسفوح فى الأنعام واطلاقه فيما عداها فمذهب الشافعى حمل المطلق على المقيد فى الجميع و من العلماء من لا يحمله ، ويجوز اعتاق الكافر فى كفارة الظهار واليمين ويكتفى فى التيمم بالمسح الى الكوعين ، ويقول : ان الردة تحبط العمل بمجردها .

و الثانى مثل تقييد الصوم بالتتابع فى كفارة القتل و الظهار ، و تقييده بالتفريق فى صوم التمتع ، و اطلاق كفارة اليمين و قضاء رمضان ، فيبقى على اطلاقه من جوازه مفرقا و متتابعا لا يمكن حمله عليهما لتنافى القيدين ، و هما التفريق و التتابع ، و على أحدهما لعدم المرجح .

---

(١) سورة المائدة رقم : ٥

(٢) سورة البقرة رقم : ٢١٧

(تنبيهان)

الأول :

اذا قلنا : يحمل المطلق على المقيد هل هو من وضع اللغة أو بالقياس ؟ مذهبان . وجه الأول أن العرب من مذهبها استحباب الاطلاق إكتفاء بالقيد و طلبا للاختصار .

الثانى :

ما تقدم محله اذا كان الحكمان بمعنى واحد . و انما اختلفا فى الاطلاق و التقييد ، فاما اذا حكم فى شىء بأمور ثم فى آخر ببعضها و سكت فيه عن بعضها فلا يقتضى الالحاق كالامر بغسل الأعضاء الأربعة فى الوضوء و ذكر فى التيمم عضوين ، فلا يقال بالحمل و مسح الرأس و الرجلين بالتراب فيه أيضا ، و كذلك ذكر العتق و الصوم و الاطعام فى كفارة الظهار ، و اقتصر فى كفارة القتل على الأولين و لم يذكر الاطعام فلا يقال بالحمل و ابدال الصيام بالطعام .

انتهى بتصرف .

بسم الله الرحمن الرحيم

(المنطوق و المفهوم)

« القرآن يفسر بعضه بعضا » و هذا أحسن طرق التفسير واليه ذهب الزركشى فى البرهان .

يردد المفسرون هذه العبارة كلما وجدوا أنفسهم أمام آية قرآنية تزداد دلالتها وضوحا بمقارنتها بآية أخرى . و ان لهم أن ينهجوا فى تاويل القرآن هذا المنهج ، لأن دلالة القرآن تمتاز بالدقة والاحاطة والشمول ، فقلما نجد فيه عاما أو مطلقا أو مجملا ينبغى أن يخصص أو يقيد أو يفصل الا تم له فى موضع آخر ما ينبغى له من تخصيص أو تقييد أو تفصيل .

و لقد كانت هذه الدلالة الشاملة جديرة أن توحى الى العلماء وضع اصطلاحات خاصة يرمز بكل منها الى السمة البارزة فى كل فكرة يدعو اليها القرآن ، و فى كل مشهد يصوره ، و من هنا نشأ فى الدراسات الاسلامية ، ما يسمى بمنطوق القرآن و مفهومه ، وعامه وخاصه ؛ ومطلقه و مقيده ، ومجمله و مفصله ، وقد عرفت هذه المصطلحات و أمثالها واستعرضت الشواهد الكثيرة الدالة عليها ، وتباينت مناهج العلماء فى دراستها فمنهم من يبحثها على أساس

تشريعى و هم الأصوليون ؛ ومنهم من يبحثها على أساس منطقى وهم المتكلمون ، وآخرون ـ يؤثرون أن ينظروا الى هذه المصطلحات من خلال الزاوية اللغوية و الأدبية ، ليتتبعوا بلذة وشغف طريقة القرآن فى الأداء والتعبير .

و أول ما ينبغى معرفته من هذه المصطلحات منطوق القرآن ومفهومه لأنهما يفصلان أنواع الدلالة القرآنية المستفادة من اللفظ والمستنبطة من المعنى فيشملان النص والظاهر و المؤول ، ولحوى الخطاب ولحنه و معانى الوصف و الشرط و الحصر وسنوضح بمشيئة الله تعالى هذه المسالة « بنماذج » مختلفة نجمعها مما تفرق فى كتاب الله الحكيم .

المنطوق :

هو ـ ما دل عليه اللفظ فى محل النطق وكانهم لاحظوا فى تعريفه أن التلفظ بالآية هو وحده منفذنا الى دلالتها و ذلك واضح جدا فى « النص » الذى لا يحتمل اللفظ غيره كدلالة قوله تعالى « فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة[1] » .

فلا يمكن أن يتحمل اللفظ غير كمال الأيام العشرة التى صرحت بها الآية ونصت عليها . وحتى ما يسمى « بالظاهر » الذى يفيد المعنى متبادرا مع احتمال غيره احتمالا مرجوحا ؛ و هو نوع من المنطوق ، لأن دلالته على معناه المتبادر الراجح انما تتم فى محل النطق نفسه ، لأن الراجح من

(١) سورة البقرة رقم : ١٩٦

اللفظ المنطوق يقدم على مرجوحه ، يوضح ذلك قوله تعالى « فمن اضطر غير باغ و لا عاد فلا اثم عليه[1] » فالباغى يطلق على معنيين أحدهما مرجوح و هو الجاهل والثانى راجح و هو الظالم ، لأنه هو الظاهر المتبادر من سياق الآية و استعماله فى هذا المعنى أظهر وأغلب ، كقوله تعالى « ثم بغى عليه لينصرنه الله[2] » . وقوله [و لا تقربوهن حتى يطهرن[3]] فيقال للانقطاع طهر ، و للوضوء والغسل غير أن الثانى أظهر . و « المؤول » الذى يستحيل حمله على ظاهره فيصرف الى معنى آخر يعينه السياق هو كذلك نوع من أنواع المنطوق ؛ لأن ظاهرة المستحيل مرجوح ، و معناه الذى يعينه السياق راجح يكاد اللفظ نفسه ينطق به و ينبىء عنه ، من ذلك قوله تعالى « و هو معكم أينما كنتم[4] » فان حمل المعية على قرب الله بذاته مستحيل فتعين صرفه عن ذلك وحمله اما على الحفظ والرعاية أو على القدرة والعلم و الرؤية ، كما قال تعالى : « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد[5] » وكقوله تعالى : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة[6] » فانه يستحيل حمله على الظاهر ، لاستحالة

(١) سورة الانعام رقم : ١٤٥

(٢) سورة الحج رقم : ٦٠

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٢٢

(٤) سورة الحديد رقم : ٤

(٥) سورة ق رقم : ١٦

(٦) سورة الاسراء رقم : ٢٤

أن يكون آدمى له أجنحة ، فيحمل على الخضوع وحسن الخلق . وكقوله تعالى : « وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه[1] » يستحيل أن يشد فى القيامة فى عنق كل طائع وعاص وغيرهما طير من الطيور ، فوجب حمله على التزام الكتاب فى الحساب لكل واحد منهم بعينه .

وقد يكون اللفظ مشتركا بين حقيقتين أو حقيقة ومجاز ويصح حمله عليهما جميعا كقوله تعالى : [لا يضار كاتب ولا شهيد[2]] فانه يحتمل ولا يضارر الكاتب و الشهيد صاحب الحق بجور فى الكتابة و الشهادة . و لا يضارر بالفتح اى لا يضارهما صاحب الحق بالزامهما مالا يلزمهما واجبارهما على الكتابة و الشهادة . سواء قلنا بجواز استعمال اللفظ فى معنييه أو لا .

و وجهه على هذا أن يكون اللفظ قد خوطب به مرتين ، مرة أريد هذا ومرة أريد هذا . ثم ان توقفت صحة دلالة اللفظ على اضمار سميت دلالة اقتضاء نحو [واسأل القرية] أى أهلها . و ان لم تتوقف و دل اللفظ على ما لم تقصد به سميت دلالة اشارة كدلالة قوله تعالى [أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم] على صحة صوم من أصبح جنبا اذ اباحة الجماع الى طلوع الفجر تستلزم كونه جنبا فى جزء من النهار وقد حكى هذا الاستنباط عن محمد بن كعب القرظى .

(١) سورة الاسراء رقم : ١٣
(٢) سورة البقرة رقم : ٢٣٣

والمفهوم هو ـ ما دل عليه اللفظ لا فى محل النطق ، وكأنهم لاحظوا فى تعريفه أن المعنى الذهنى هو المنفذ الوحيد الى دلالته . وهو قسمان :

مفهوم موافقة اذا وافق المنطوق بحكمه ؛ ومفهوم مخالفة اذا لم يوافقه به ولكل من هذين المفهومين فروع تتعلق به ، فمفهوم الموافقة اذا دل على المعنى الأولى بالأخذ والاعتبار سمى « فحوى الخطاب » كدلالة [فلا تقل لهما أف[1]] » على تحريم ضرب الوالدين : لأنه أولى بالتحريم من قول أف لهما ، و اذا دل على المعنى المساوى سمى « لحن الخطاب » كدلالة « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا[2]] ، على تحريم احراق أموال اليتامى أو اتلافها بأى نوع من أنواع التلف ، لأن الاتلاف هو المقصود بالتحريم ، سواء أحصل بالأكل أم بالاحراق فكل منهما مساو للاخر .

و مفهوم المخالفة على أنواع أهمها : مفهوم وصفى ، ومفهوم شرطى ، و مفهوم حصرى . يذكرون عادة من أنواع مفهوم المخالفة خمسة :

الصفة و الشرط و الغاية و العدد و اللقب ، ولكننا اقتصرنا على أهمها و يتوسع فى المفهوم الوصفى فلا يقتصر فيه على النعت ، بل يدخل فيه كل ما أفاد معنى الوصفية كالحال والظرف والعدد .

---

(١) سورة الاسراء رقم : ٢٢

(٢) سورة النساء رقم : ١٠

مثال النعت « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة[1] » مفهومه أن غير الفاسق لا يجب التبيين فى خبره فاذا جاءنا من نعت بالعدالة بنبأ قبلناه وتسلمنا به وحسبنا الظن بخبره ، و من هنا استنبط العلماء وجوب قبول الخبر الذى يرويه الواحد العـــدل .

و مثال الحال : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة و أنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون[2] » فان الغاية من الآية التدرج فى تحريم المسكرات على المؤمنين ، فالصلاة لا تقرب الا فى حالة الصحة التى يعلم فيها المصلى ما يقول : و فى حال السكر لا يعى الانسان شيئا مما يفعل و يقول ، ولذلك لا تجوز صلاة المؤمنين و هم سكارى .

و مثـــال الظرف : « فاذكروا الله عند المشعر الحرام[3] » فقد عينت الآية الظرف المكانى الذى يذكر الله فيه ذكرا خاصا ، فلو ذكر الله فى غير هذا المكان لكان تحصيلا لشىء غير مطلوب ؛ و الأمر التعبدى لا يعلل ، لأن تنفيذه على الوجه الذى أراده الشارع دليل على طاعة الله ، والتزيد فيـــه كالنقصان منه معصية و وضع للشىء فى غير محله .

و مثل ذلك فى قوله تعالى « الحج أشهر معلومات[4] » فهـــذا تعيين

(١) سورة الحجرات رقم : ٦

(٢) سورة النساء رقم : ٤٣

(٣) سورة البقرة رقم : ١٩٨

(٤) سورة البقرة رقم : ١٩٨

للظرف الزمانى الذى يحرم فيه الحاج ، بحيث لو وقع احرامه فى غير هذه الأشهر لكان غير صحيح .

و مثال العدد : « و الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة و لا تقبلوا لهم شهادة أبدا و أولئك هم الفاسقون[1] » فحد القاذف ثمانون جلدة لا أكثر و لا أقل .

و هذه الأمثلة الأربعة كلها شواهد على المفهوم الوصفى ، مع شىء من الاتساع فيه .

و مثال المفهوم الشرطى : « و ان كن أولات حمل فانفقوا عليهن[2] » فاشتراط الحمل يفيد أن غير الحاملات لا يجب الانفاق عليهن[3] .

---

(١) سورة النور رقم : ٤

(٢) سورة الطلاق رقم : ٦

(٣) واضح أن الزوجات غير الحاملات اللائى لا ينفق عليهن الازواج ، من المستثنيات بما لديهن من المال ، وفقا لقاعدة الاسلام فى تحقيق الكيان الاقتصادى المستقل للمرأة و كتحقيقه للرجل سواء بسواء ، « للرجال نصيب مما اكتسبوا و للنساء نصيب مما اكتسبن » الآية من سورة النساء آية رقم (٣٢) أما فى حالة فقر المرأة فالرجل مسئول عن الانفاق عليها ، حاملا كانت أو غير حامل « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض و بما أنفقوا من أموالهم » الآية من سورة النساء آية رقم ٣٤

و مثال المفهوم الحصرى : « اياك نعبد و اياك نستعين[1] » أى لا نعبد أحداً سواك و لا نستعين الا بك .

وقد نص العلماء على أنه لا مفهوم للوصول وصلته فى قوله « و ربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم[2] » لأن الغالب أن يكن فى حجور الأزواج ، و لا مفهوم للشرطية فى قوله « و لا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا[3] » بان ارادتهن التحصن موافقة للواقع .

فلا يجوز اكراه الفتيات على البغاء ان مالت أنفسهن الى الفحشاء و لم يردن التحصن لأن الآية لا تشترط شرطا وانما توافق واقع الفتيات عند ما يكون واقعا سليما ليس فيه شذوذ . والاطلاع على ذلك من فوائد معرفة أسباب النزول .

(فائدة)

قال بعضهم ؛ الألفاظ اما أن تدل بمنطوقها أو بفحواها و مفهومها أو باقتضائها وضرورتها ، أو بمعقولها المستنبط منها كما حكاه ابن الحصار وقال : هذا كلام حسن : قلت فالأول دلالة المنطوق ، والثانى دلالة المفهوم و الثالث الاقتضاء و الرابع دلالة الاشارة .

هذا و الله أعلى و أعلم .

---

(١) سورة الفاتحة رقم : ٥

(٢) سورة النساء رقم : ٢٢

(٣) سورة النور رقم : ٣٤

إعجاز القرآن

الاعجاز لغة : ماخوذ من العجز ، وهو عدم القدرة على فعل الشيء المطلوب .
اصطلاحا : اعجاز القرآن فصحاء العرب وبلغاءهم عن أن يأتوا بمثله .
القرآن الكريم : هو المعجزة الكبرى لرسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم و هذا يتطلب منا معرفة المعجزة قبل الحديث عن الاعجاز .

المعجزة : ظاهرة تكررت فى حياة الانبياء صلوات الله عليهم ، لتكون دليلا على صدق دعواهم النبوة .

ولابد فى المعجزة ان تتوفر فيها امور ثلاثة .

اولا :

أنها أمر خارق للعادة غير جار على ما إعتاد الناس من سنن الكون و الظواهر الطبيعية ، ولذلك فهى غير قابلة لتفسيرها على نحو ما يجرى عادة فى الحياة .

ثانيا :

أنها أمر مقرون بالتحدى ، تحدى المكذبين أو الشاكين ، و لا بد

أن يكون الذين يتحدون من القادرين على اتيان مثل المعجزة ان لم تكن من عند الله والا فان التحدى لا يتصور ، إذ أننا لا نستطيع أن نتصور بطلا فى الملائكة يتحدى طفلا ؛ لأن هذا الطفل عاجز عن مواجهته .

ثالثـا :

أنها أمر سالم من المعارضـــة ، فتى أمكن لاحد أن يعارض هذا الأمر و يأتى بمثله بطل أن تكون معجزة :

و المعجزة على نوعين : حسية وعقلية .

و الملاحظ أن أكثر معجزات الانبياء السابقين كانت حسية بينما نجد أن المعجزة الكبرى التى جاء بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عقلية ، ونعنى بهــذه المعجزة القرآن وهناك معجزات أخرى للنبى صلى الله عليه و سلم . جاء فى الصحيح أخبـارها و هى كثيرة و لعل مرد ذلك الى أن هذه الشريعة آخر الشرائع وستبقى الى الابد الى يوم القيـامة ، و من أجل ذلك فقد خصت بالمعجزة العقلية الباقية ، ليراها ذوو البصائر فى كل العصور ومهما تقدم الزمان .

و مكذا فان معجزات الانبياء السابقين عليهم السلام ـ قد انقرضت بانقراض أعصارهم ؛ فلم يشاهدها إلا من حضرها ، بينما معجزة القرآن مستمرة الى يوم القيامة .

و بنحو من هذا الذى ذكرنا فسر العلماء قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخارى و مسلم وغيرهما عن أبى هريرة :

[ما من الانبياء نبى الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، و انما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى فارجو أن أكون أكثرهم تبعا يوم القيامة] .

الاعجاز :

تحدى القرآن فصحاء العرب بمعارضته ، ومحاولتهم فى المعارضة ، ولكنهم انهزموا أمام تحديه وأعلنوا عجزهم عن تقليده ، وهم فى الذروة العليا من البلاغة والتحكم فى زمام القول ، وجودة القريحة ، وصفاء السليقة ، هذا العجز من هؤلاء القوم الذين أنزل القرآن بلغتهم يشكل عنصرا واحدا من حجة القرآن على العالم ، و هذا العنصر يضع القرآن موضع الاعتبار .

أقول إن أئمة الكفر أنفسهم شعروا بسلطانه على القلوب وهو القدر المتاح لهم لادراك إعجاز البيان ـ فقالوا لاتباعهم : [لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون] و ذلك خوفا من سريان الروح التى شعر بها الوليد ابن المغيرة حين قال : [إن له لحلاوة و إن عليه لطلاوة و انه لمثمر أعلاه مغدق أسفله و انه ليعلو ولا يعلى عليه و انه ليحطم ما تحته] وهو نفس الاعجاز الذى أدرك منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجها يناسبه حينما سمع القرآن الكريم فى بيت أخته فتهاوى صرح الشرك من قلبه ، وشمخ صرح الايمان فى كيانه ، إلى آخر ما هو معلوم لنا فى دعوة الاسلام .

فاتساع سلطانه على القلوب أعظم دليل وأصدق برهان على اتساع مدى الاعجاز القرآنى الى جانب إقناع البيان و تجاوز هذا الاعجاز نطاق البلاغة و الفصاحة و تصحيح النظريات العلمية و التنبوء بالمستقبل الى نطاق السياسة والاجتماع والعلوم التجريبية كلها .

أما الرسول العظيم فيأبى أن تكون الشمس فى يمينه والقمر فى يساره إلا ان يظهر دين الله ، فالامر اذن فوق جودة الاسلوب و فوق كل الاعتبارات .

ذلك هو : إذعان العرب عاجزين ، أو انقيادهم محتارين الى تلك العظمة القرآنية التى تفوق مقاييس العظمة الاسلوبية المتعارفة آنذاك .

لقد اشتبه الامر على العرب ، فلم تكن فى الرسالات السابقة معجزات باطنة فى الكتب التى أنزلت على الرسل ، أى لم تكن هناك معجزات من جنس الكلام بل كانت معجزات مادية منفصلة تماما عن الكتب السماوية .

و هذا الواقع هو الذى دفع العرب إلى أن يقولوا : [ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق] . و الى أن يطلبوا منه أن يجعل لهم الصفا ذهبا و الى أن يقولوا عن القرآن : [هذا أفك قديم] حينما لم يهتدوا بعيدا عن معجزات المادة.

القول بالصرفة

زعم إبراهيم بن إسحاق النظام وهو من أئمة المعتزلة فى العصر العباسى

أن الله تعالى صرف العرب عن معارضته وكان مقدورا لهم .

وقد أنكر هذا القول الباطل جمهرة علماء اللغة والدين وتولوا الرد عليه منذ أيام الجاحظ حتى العصر الحاضر ، ونورد فيما يأتى طائفة من اقوال العلماء فى استنكار هذا الرأى .

قال الباقلانى رحمه الله : [على أن ذلك لو لم يكن معجزا على ما وصفناه من جهة نظمه الممتنع لكان مهما حط من رتبة البلاغة فيه و وضع من مقدار الفصاحة فى نظمه كان أبلغ فى الأعجوبة اذا صرفوا عن الاتيان بمثله ، ومنعوا عن معارضته ، وعدلت دواعيهم عنه ، فكان يستغنى عن انزاله على النظم البديع و اخراجه فى المعرض الفصيح العجيب على أنه لو كانوا صرفوا لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به فى الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وعجيب الرصف . . . . فلما لم يوجد فى كلام من قبله مثله علم أن ما ادعاه القائل بالصرفة ظاهر البطلان . . . . .

و مما يبطل ما ذكروه من القول بالصرفة قول الامام السيوطى ردا على هذا القول الذى قال به [النظام] و من جرى مجراه . ان هذا القول فاسد بدليل قوله تعالى : [قل لئن اجتمعت الانس والجن . .] . الآية .

أما الجاحظ نفسه فقد فضح أستاذه [إبراهيم النظام] فقال : [بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا و أحكم ما كانت لغة وأشد ما كانت عدة . . . . وهو فى ذلك يحتج عليهم

بالقرآن ويدعوهم صباحا ومساء الى أن يعارضوه ان كان كاذبا بسورة واحدة أو بآيات يسيرة ، فكلما ازداد تحديا لهم بها وتقريعا لعجزهم عنها ، تكشف من نقصهم ما كان مستورا ، وظهر منه ما كان خفيا ، فحين لم يجدوا حيلة و لا حجة قالوا : أنت تعرف من اخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا قال فهاتوها مفتريات . فلم يرم ذلك خطيب ؛ و لا طمع فيه شاعر . . . . . فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم ، الى غير ذلك من الأقوال التى أبطلت ما ذهب اليه النظام .

وقد لخص السيوطى الافكار التى يتضمنها الرد باربعة .

١ ـ قوله تعالى : [قل لئن اجتمعت الانس والجن . . . الآية يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لانهم عندئذ يكونون كالموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره .

٢ ـ أجمع العلماء على أن الاعجاز مضاف للقرآن فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة إعجاز : بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة .

٣ ـ يلزم من القول بالصرفة زوال الاعجاز بزوال زمن التحدى . و يخلو القرآن عندئذ من الاعجاز ، و فى ذلك خرق لاجماع الامة أن معجزة الرسول العظمى باقية ، و لا معجزة له باقية سوى القرآن .

٤ ـ لو كانت المعارضة ممكنة و انما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا

و انما يكون بالمنع معجزا ؛ فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره فى نفسه .

مدار الاعجاز

الاعجاز دليل النبي صلى الله عليـــه و سلم على صدق نبوته ، و على أن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد ومدار الاعجـاز الذى وافقه التحدى انما كان أسلوب القرآن و نظمه و بيانه ، و لم يكن لشيء خارج عن ذلك .

وآيات التحدى كثيرة :

لقد تحدى الانس و الجن أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك مع توافر دواعي أعدائه على معارضته وفصاحتهم وبلاغتهم .

[قل لئن إجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثـــل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا[1]] .

وقوله تعالى : [أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين[2]] .

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا .

[أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثـله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل

(١) سورة الاسرا رقم : ٨٨

(٢) سورة الطور رقم : ٣٣

بعلم الله و أن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون[1] .

ثم تنازل الى التحدى بسورة من مثله فعجزوا عنه و هم يعلمون عجزهم وتقصيرهم عن ذلك ، و أن هذا ما لا سبيل لاحد اليه أبدا .

و قوله تعالى : [و ان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين[2]] .
قال الامام ابن كثير رحمه الله .

و مثل هذا التحدى إنما يصدر عن واثق بان ما جاء به لا يمكن للبشر معارضته و لا الاتيان بمثله ، ولو كان من متقول من عند نفسه لخاف أن يعارض فيتفضح ، ويعود عليه نقيض ما قصده من متابعة الناس له .

و معلوم لكل ذى لب أن محمدا صلى الله عليه و سلم من أعقل خلق الله ، بل أعقلهم وأكملهم على الاطلاق ، فما كان ليقدم على هذا الأمر إلا و هو عالم بانه لا يمكن معارضته وهكذا وقع ، فانه من لدن رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى زماننا هذا لم يستطع أحد أن يأتى بنظيره ولا نظير سورة منه و هذا لا سبيل اليه أبدا .

(١) سورة هود رقم : ١٣-١٤
(٢) سورة البقرة رقم : ٢٣ و ما بعدها .

بسم الله الرحمن الرحيم

(بيان الاقوال المختلفة فى وجوه الاعجاز)

ذكر العلماء فى الاعجاز وجوها عديدة : و نحن ازاء هذه العجالة نكتفى بذكر ثلاثة منها طلبا للاختصار ورعاية لمقتضى الحال .

أحدها : اعجاز ما فيه من الاخبار عن الغيوب المستقبلة .

و ذلك مما لا يقدر عليه البشر و لا سبيل لهم اليه ، فمن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام ، أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون[1]﴾ . ففعل ذلك .

الوجه الثانى :

أنه كان معلوما من حال النبي صلى الله عليه و سلم : أنه كان أميا لا يكتب و لا يحسن أن يقرأ .

وكذلك كان معروفا من حاله أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين و أقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم ثم أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور ، ومهمات السير ، من حين خلق آدم عليه السلام إلى حين

---

(١) سورة التوبة رقم : ٣٣

مبعثه ؛ فذكر فى الكتاب الذى جاء به معجزة له قصة آدم عليه السلام وابتداء خلقه وما صار أمره اليه من الخروج من الجنـــة ثم جملا من أمر ولده وأحواله وتوبته الى غير ذلك من المغيبات .

ونحن نعلم علما ضروريا أن هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تعلم و اذا كان معروفا أنه لم يكن مخالطا لاهل الآثار وحملة الاخبـار و لا مترددا الى التعلم منهم ، و لا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع اليه كتاب فياخذ منه ـ علم أنه لا يصل الى علم ذلك إلا بتاييد من جهة الوحى ولذلك قال الله عزوجل : [و ما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون[1]] . و قال تعالى : [وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست[2]] .

الوجه الثالث :

أنه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناه فى البلاغة إلى الحـد الذى يعلم عجز الخلق عنه .

و قال الزركشى فى البرهان : أهل التحقيق على أن الاعجـاز وقع بجميع ما سبق من الاقوال لا بكل واحد على انفراده فانه جمـع ذلك كله فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق فمنها الروعـــة التى له فى قلوب السامعين و أسماعهم سواء المقر

(١) سورة العنكبوت رقم : ٤٨

(٢) سورة الأنعـام رقم : ١٠٥

والجاحد إلى غير ذلك من وجوه إعجاز القرآن .

الخلاصـــة :

١ ـ قليل القرآن وكثيره فى شان الاعجاز سواء .

٢ ـ الاعجاز فى أسلوب القرآن ونظمه و بيانه وخصائصه الفنية مباينة للمهود من خصائص البيان البشرى .

٣ ـ ما فى القرآن الكريم من إخبار بالغيب و حديث عن الماضى بدقائقه وتفصيلاته واخبار بدخائل النفس وأسرارها وكشف عن حقائق علمية وكونية ، واحكام فى التشريع يضمن مصالح الناس . كل ذلك بمعزل عن هذا التحدى المفضى الى الاعجاز و ان كان دليلا على أنه من عند الله عز وجل ولكنه لا بد على أن نظمه و بيانه مباين لنظم كلام البشر و انه بهذه المباينة كلام رب العالمين .

٤ ـ العرب الذين تحداهم القرآن الكريم هم أئمة البيان والفصاحة ولديهم القدرة على تمييز ما كان من كلام البشر ، و ما ليس من كلامهم . وقد ادركوا أنهم بالتحدى طولبوا بان يأتوا بمثل هذا الكلام .

٥ ـ ان هذا التحدى لم يقصد به الاتيان بمثل معانى القرآن ؛ بل قصد أن يأتوا بما يستطيعون افتراءه واختلاقه من كل معنى أو غرض مما يعتلج فى نفوس البشر .

٦ ـ هذا التحدى مستمر الى يوم القيامة وموجه الى الثقلين أيضا .

٧ ـ وأخيرا فان العرب الذين نزل عليهم هذا القرآن كانوا يحسون بجماله و يدركون اعجازه . و استمر الأمر كذلك جيلين من الناس الى أن داخلت العجمة سواد الناس فافسدت سلائقهم ، وبدأت العلوم و المعارف الدخيلة تتسرب الى حياتهم ، و قام دجالون مغرضون يريدون تشويه حقيقة الاسلام وكان من هؤلاء [الجعد بن درهم[١]] ثم جاء النظام إبراهيم بن سيار فقال بالصرفة ، ورد عليه الجاحظ فى كتابه [نظم القرآن] وقد أكثر المعتزلة من إثارة قضية اعجاز القرآن ، وكذلك فان عددا من علماء أهل السنة المتذوقين للبيان العربى كتبوا فى ذلك من امثال الامام عبد القادر الجرجانى[٢] والرازى و الزملكانى .

و قد بقى من الكتب المؤلفة فى القرنين الرابع و الخامس عن إعجاز القرآن .

كتاب الرمانى و هو [النكت فى إعجاز القرآن] ومؤلفه هو : على ابن عيسى الرمانى المتوفى ٣٨٤ هـ

وكتاب الخطابى وهو [بيان إعجاز القرآن] ومؤلفه هو : حمد بن محمد المتوفى ٣٨٨ هـ

(١) هو مبتدع له آراء ضالة و ذكره بعضهم فى الزنادقة ، قتله خالد بن عبد الله القسرى سنة ١١٨ هـ

(٢) هو الامام الكبير واضع أسس البلاغة و الذواقة عبد القادر الجرجانى المتوفى ٤٧١ هـ .

وكتاب الباقلانى و هو [إعجاز القرآن] ومؤلفه هو أبو بكر محمد بن الطيب المتوفى ٤٠٣ هـ

هذا و إن مما يتصل بموضوع إعجاز القرآن الكريم وسمو بيانه موضوع ترجمة القرآن. والحق فى هذه المسالة التى كثر الأخذ والرد فيها أنه تقرر ان ترجمة القرآن أمر مستحيل ، لان أى نص بليغ تتعذر ترجمته فى أى لغة من لغات الارض فما القول بالكلام الالهى المعجز ؟

أما تفسير معانى آياته بغير اللغة العربية فأمر لا مانع منه ، بل انه واجب ولكنه لا يسمى قرآنا بحال من الاحوال .

و انى و ان كنت أطنبت القول فى الاعجاز فلأنه أمر وثيق الصلة بالدعوة الاسلامية و بالدراسات القرآنية .

بسم الله الرحمن الرحيم

(قصص القرآن)

الحادثة المرتبطة بالأسباب و النتائج يهفو اليها السمع . فاذا تخللها مواطن العبرة فى أخبار الماضين كان حب الاستطلاع لمعرفتها من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها فى النفس و هذا بخلاف الموعظة الخطابية فانها تسرد سردا لا يجمع العقل أطرافها ولا يعى جميع ما يلقى فيها ولكنها حين تأخذ صورة من واقع الحياة فى أحداثها تتضح أهدافها ويرتاح المرء لسماعها و يصغى اليها بشوق ولهفة ، ويتأثر بما فيها من عبر وعظات ، وقد أصبح أدب القصة اليوم فنا خاصا من فنون اللغة وآدابها و القصص الصادق يمثل هذا الدور فى الأسلوب العربى أقوى تمثيل ، ويصوره فى أبلغ صورة قصص .

قصص القرآن الكريم :

القص : تتبع الأثر . يقال : قصصت أثره : أى تتبعته ، والقصص مصدر قال تعالى : [فارتدا على آثارهما قصصا[1]] . أى رجعا يقصان الأثر الذى جاءا به .

و قال تعالى على لسان أم موسى [و قالت لأخته قصيه[2]] . أى تتبعى أثره

---

(١) سورة الكهف رقم : ٦٤

(٢) سورة القصص رقم : ١١

حتى تنظرى من ياخذه .

والقصص كذلك : الأخبار المتتبعة .

قال تعالى : [ان هذا لهو القصص[1]] .

وقال تعالى : [لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب[2]] .

والقصة : الأمر ، والخبر ؛ والشان ، والحال .

وقصص القرآن : اخباره عن أحوال الأمم الماضية ، والنبوات السابقة والحوادث الواقعة .

وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضى وتاريخ الامم وذكر البلاد والديار . وتتبع آثار كل قوم ؛ وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه .

أنواع القصص فى القرآن الكريم

والقصص فى القرآن الكريم على ثلاثه أنواع :

النوع الاول :

قصص قرآنى يتعلق بحوادث غابرة ، وأشخاص لم تثبت نبوتهم كقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت . وطالوت وجالوت ، وابنى آدم ، وأهل الكهف ، وذى القرنين ، وقارون وأصحاب السبت ؛ ومريم ، وأصحاب

(۱) سورة آل عمران رقم : ٦٢

(۲) سورة يوسف رقم : ۱۱۱

الاخدود ، وأصحاب الفيل وغيرهم .

النوع الثانى :

قصص الانبياء ، وقد تضمن دعوتهم الى قومهم . والمعجزات التى أيدهم الله بها ؛ وموقف المعاندين منهم ، و مراحل الدعوة وتطورها و عاقبة المؤمنين و المكذبين . كقصص نوح ، و إبراهيم و موسى و هارون و عيسى و محمد ، وغيرهم من الأنبياء و المرسلين ، عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام .

النوع الثـالث :

قصص يتعلق بالحوادث التى وقعت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم : كغزوة بدر وأحد فى سورة آل عمران ، و غزوة حنين و تبوك فى التوبة ، وغزوة الاحزاب فى سورة الاحزاب . والهجرة والاسراء ونحو ذلك .

تكرار قصص القرآن وحكمته

يشتمل القـرآن الـكريم على كثير من القصص الذى تكرر فى غير موضع ؛ فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها فى القران الـكريم ، وتعرض فى صور مختلفة فى التقديم والتاخير ، والايجاز و الاطناب ، وما شابه ذلك . و من حكمة هذا :

١ ـ بيان بلاغة القرآن الـكريم فى أعلى مراتبها فن خصائص البلاغة ابراز المعنى الواحد فى صور مختلفة ، و القصة المتكررة ترد فى كل موضع

باسلوب يتميز عن الآخر ، وتصاغ فى قالب غير القالب ، و لا يمـــل الانسان من تكرارها بل تتجدد فى نفسه معان لا تحصل له بقراءتها فى المواضع الأخرى .

٢ - قوة الاعجاز : فايراد المعنى الواحد فى صور متعددة مع عجز العرب عن الاتيان بصورة منها أبلغ فى التحدى .

٣ - الاهتمام بشان القصـة لتمكين عبرها فى النفس فان التكرار من طرق التاكيد وامارات الاهتمام . كما هو الحال فى قصة موسى عليـه السلام مع فرعون . لانها تمثل الصراع بين الحق و الباطل أتم تمثيـــل مع أن القصة لا تكرر فى السورة الواحدة مهما كثر تكرارها .

٤ - اختلاف الغاية التى تساق من أجلها القصة فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض فى مقام ، وتبرز معانى أخرى فى سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الاحوال .

أثر القصص القرآنى فى التربية والتهذيب

مما لايدع مجـالا للشك أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف - وتنفـــذ الى النفس البشرية بسهولة ويسر ، وتسترسل مع سياقها

المشاعر فلا تمل ، و يرتاد العقل عناصرها فيجنى من حقولها الازهار والثمار . و الدروس التلقينية والالقائية تورث الملل ، و لا تستطيع الناشئة أن تتابعها وتستوعب عناصرها الا بصعوبة بالغة والى أمد قصير . ولذا كان الاسلوب القصصى أجدى نفعا ؛ واكثر فائدة ؛ وايسر اسلوبا .

و المعهود - حتى فى حياة الاطفال - ان يميل الطفل الى سماع الحكاية ، ويصغى الى رواية القصة ، وتعى ذاكراته ما يروى له . فيحاكيه ويقصه . هذه الظاهرة الفطرية النفسية ينبغى لمن يعملون فى حقل التعليم ان يفيدوا منها فى مجالات التعليم . لا سيما التهذيب الدينى ، الذى هو لب التعليم ، و قوام التوجيه فيه . و فى القصص القرآنى تربة خصبة تساعد المربين على النجاح فى مهمتهم ، و تمدهم بزاد تهذيبى ، من سيرة النبيين ، و اخبار الماضين و سنة الله فى حياة المجتمعات ، و أحوال الامم . و لا تقول فى ذلك الا حقا و صدقا . و يستطيع المربى أن يصوغ القصة القرآنية بالاسلوب الذى يراه ملائما للمستوى الفكرى للمتعلمين فى شتى نواحى التعليم - و ياحبذا لو نهج الناس هذا المنهج التربوى السليم كما نهجه بعضهم .

فوائد قصص القرآن الكريم

وللقصص القرآنى فوائد عديدة نورد أهمها فيما يأتى :

١ - إيضاح أسس الدعوة الى الله ، و بيان أصول الشرائع التى بعث بها

كل نبي [و ما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون[١]] .

٢ ـ تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده ، وخذلان الباطل واعوانه .

[وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة و ذكرى للمؤمنين[٢]] .

٣ ـ تصديق الأنبياء السابقين واحياء ذكراهم وتخليد آثارهم .

٤ ـ اظهار صدق النبي صلى الله عليه وسلم فى دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والاجيال .

٥ ـ مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى ، و تحديه لهم بما كان فى كتبهم قبل التحريف والتبديل كقوله تعالى [كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل الا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين[٣]] .

٦ ـ والقصص ضرب من ضروب الادب ؛ يصغى اليه السمع ، وترسخ عبره فى النفس ، [لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب[٤]] .

---

(١) سورة الانبياء رقم : ٢٥

(٢) سورة هود رقم : ١٢٠

(٣) سورة آل عمران رقم : ٩٣

(٤) سورة يوسف رقم : ١١١

بسم الله الرحمن الرحيم

(أمثـال القرآن)

الحقائق السامية فى معانيها وأهدافها تأخذ صورتها الرائعة إذا صيغت فى قالب حسن يقربها الى الأفهام بقياسها على المعلوم اليقينى ، والتمثيل هو القالب الذى يبرز المعانى فى صورة حيـــة تستقر فى الاذهان ، و ذلك مثل تشبيه الغائب بالحاضر ، والمعقول بالمحسوس، وقياس النظير على النظير ، وكم من معنى جيل أكسبه التمثيل روعة وجمالا ، فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له ؛ واقتناع العقل به ، وهو من أساليب القرآن الكريم فى ضروب بيانه ونواحى إعجازه .

و من العلماء من أفرد الامثال فى القرآن بالتأليف ، ومنهم من عقد لها بابا فى كتاب من كتبه ؛ فأفردها بالتأليف ـ أبو الحسن الماوردى[1] . وعقد لها بابا السيوطى فى الاتقـان ، و ابن القيم فى كتاب أعلام الموقعين حيث تتبع أمثال القرآن التى تضمنت تشبيه الشىء بنظيره ، والتسوية بينهما فى الحكم ـ فبلغت بضعة و أربعين مثلا .

---

(١) هو ابو الحسن على بن حبيب الشافعى : صاحب كتاب أدب الدنيا و الدين و كتاب الاحكام السلطانية ـ ت ٤٥٠ هـ .

وقد أخبرنا الله تعالى بضرب الامثال فى القرآن الكريم : فقال جل شأنه [ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون[1]] .
و قال تعالى : وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون[2]] .
و قال تعالى : [و تلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون[3]] .

و أخرج البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [ان القرآن نزل على خمسة أوجه (١) حلال ، (٢) وحرام ، (٣) ومحكم ، (٤) ومتشابه ، (٥) و امثال ، فاعملوا بالحلال و اجتنبوا الحرام ، و اتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، و اعتبروا بالامثال] .

قال الماوردى : من أعظم علم القرآن علم امثاله والناس فى غفلة عنه لاشتغالهم بالآمثال واغفالهم الممثلات ، والمثل بلا ممثل كالفرس بلاجام والناقة بلا زمام . وقد عده الشافعى مما يجب على المجتهد معرفته من [علوم القرآن] فقال : ثم معرفة ما ضرب فيه من الامثال الدوال على طاعته ، المبينة لاجتناب معصيته ، و ترك الغفلة عن الحفظ و الازدياد من نوافل الفضل .

وقال الشيخ عز الدين : انما ضرب الله الامثال فى القرآن تذكيرا و وعظا

---

(١) سورة الزمر رقم : ٢٧

(٢) سورة العنكبوت رقم : ٤٣

(٣) سورة الحشر رقم : ٢١

فما اشتمل منها على تفاوت ثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه فانه يدل على الاحكام . و قال غيره : ضرب الامثال فى القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس ، فان الامثال تصور المعانى بصورة الاشخاص لانها أثبت فى الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس ، و من ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفى بالجلى والغائب بالمشاهد ؛ وتأتى امثال القرآن مشتملة على بيان بتفاوت الأجر ، و على المدح و الذم ، و على الثواب والعقاب ؛ وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره ، و على تحقيق أمر أو ابطاله .

قال تعالى : [وضربنا لكم الأمثال] . فامتن علينا بذلك لما تضمنه من الفوائد .

قال الزركشى فى البرهان : و من حكمته تعليم البيان و هو من خصائص هذه الشريعة .

و قال الزمخشرى : التمثيل انما يصار اليه لكشف المعانى وادناء المتوهم من المشاهد ، فان كان الممثل له عظيما كان الممثل به مثله و ان كان حقيرا كان الممثل به كذلك .

وقال الأصبهانى : لضرب العرب الامثال واستحضار العلماء النظائر شأن ليس بالخفى فى ابراز خفيات الدقائق ورفع الاستار عن الحقائق ، تريك المتخيل فى صورة المتحقق ، والمتوهم فى معرض المتيقن ، والغائب كانه مشاهد

و فى ضرب الامثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة ، و فيه أيضا من تقرير المقصود ما لا يخفى فانه يؤثر فى القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء فى نفسه ولذلك أكثر الله تعالى فى كتابه و فى سائر كتبه « الامثال » ومن سور الانجيل سورة تسمى « الامثال » وفشت فى كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء و الحكماء . . . .

تعريف الأمثال

الامثال : جمع مثل ، والمثل والمثيل : كالشبه والشبه والشبيه لفظا و معنى . و المراد به هنا ابراز المعنى فى صورة حسية تكسبه روعة وجمالا . و المثل بهذا المعنى لا يشترط أن يكون له مورد ، كما لا يشترط أن يكون مجازا مركبا .

واذا نظرنا الى امثال القرآن التى يذكرها المؤلفون وجدنا أنهم يوردون الآيات المشتملة على تمثيل حال أمر بحال أمر آخر ؛ سواء أورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة ، أم بطريق التشبيه الصريح ؟ او الآيات الدالة على معنى رائع بايجاز ، أو التى يصح استعمالها فيما يشبه ما وردت فيه فان الله تعالى ابتدأها دون أن يكون لها مورد من قبل .

فامثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوى الذى هو الشبه و النظير ؛ و لا يجوز حملها على ما يذكر فى كتب اللغة لدى من ألفوا

فى الامثال . اذ ليست أمثال القرآن أقوالا استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها ، كما لا يستقيم حملها على معنى الامثال عند علماء البيان فمن أمثال القرآن ما ليس باستعارة وما لم يفش استعماله .

فابن القيم يقول فى أمثال القرآن : تشبيه شىء بشىء فى حكمه ، و تقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار احدهما بالآخر . و يسوق الأمثلة : فتجد اكثرها على طريقة التشبيه الصريح كقوله تعالى : [إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء[1]] .

و فى الحديث الصحيح [ان مثل ما بعثنى الله به من الهدى و العلم كمثل غيث أصاب أرضا فكان منها طائفة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها طائفة أمسكت الماء فشرب الناس واستقوا وزرعوا وكانت منها طائفة انما هى قيعان لا تمسك ماء ، و لا تنبت كلأ ، و ذلك مثل من فقه فى دين الله فنفعه ما بعثنى الله به من الهدى والعلم ، و مثل من لم يرفع بذلك رأسا و لم يقبل هدى الله الذى أرسلت به .

و منها ما يجىء على طريقة التشبيه الضمنى ، كقوله تعالى : [و لا يغتب بعضكم بعضا أيحب احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه[2]] . اذ ليس فيه تشبيه صريح .

ومنها ما لم يشتمل على تشبيه ولا استعارة كقوله تعالى : [يا ايها الناس

(١) سورة يونس رقم : ٢٤

(٢) سورة الحجرات رقم : ١٢

ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا و لو اجتمعوا له و ان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب و المطلوب[1]] .

فقوله تعالى : [ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا] قد سماه الله مثلا وليس فيه استعارة و لا تشبيه .

و أما المثل فى الأدب : فهو قول محكى سائر يقصد به تشبيه حال الذى حكى فيه بحال الذى قيل لأجله ، أى يشبه مضربه بمورده ، مثل [رب رمية من غير رام] أى رب مصيبة حصلت من رام شانه أن يخطىء ، و أول من قال هذا الحكم بن يغوث النقرى ؛ يضرب للمخطىء يصيب أحيانا و على هذا فلا بد له من مورد يشبه مضربه به .

و يطلق المثل على الحال والقصة العجيبة الشان ، و بهذا المعنى فسر لفظ المثل فى كثير من الآيات كقوله تعالى : [مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن[2]] أى قصتها وصفتها التى يتعجب منها .

و أشار الزمخشرى الى هذه المعانى الثلاثة فى كشافه فقال : [و المثل فى أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير ، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ، ثم قال : وقد استعير المثل للحال أو القصة أو الصفة اذا كان

---

(١) سورة الحج رقم : ٧٣

(٢) سورة محمد رقم : ١٥

لها شأن و فيها غرابة .

وهناك معنى رابع ذهب اليه علماء البيان فى تعريف المثل فهو عندهم المجاز المركب الذى تكون علاقته المشابهة متى فشا استعماله .

و أصله الاستعارة التمثيلية كقولك للتردد فى فعل أمر : [مالى أراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى] .

أنواع الامثال فى القرآن

الامثال فى القرآن ثلاثة أنواع : ١ - الامثال المصرحة . ٢ - و الامثال الكامنة . ٣ - و الامثال المرسلة .

النوع الاول : الامثال المصرحة : و هى ما صرح فيها بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه . و هى كثيرة فى القرآن على سبيل المثال لا الحصر نورد منها ما يأتى :

الف - قوله تعالى فى شأن المنافقين [مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم و تركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون . اوكصيب من السماء فيه ظلمات ورعد و برق - إلى قوله - ان الله على كل شىء قدير[1]] .

فى هذه الآيات ضرب الله للمنافقين مثلين : مثلا ناريا فى قوله :

---

(١) سورة البقرة رقم : ١٧-٢٠

[كمثل الذى استوقد نارا ـ] لما فى النار من مادة النور و مثلا مائيا فى قوله [أوكصيب من السماء . .] لما فى الماء من مادة الحياة وقد نزل الوحى من السماء متضمنا لاستنارة القلوب وحياتها ـ وذكر الله حظ المنافقين فى الحالتين ـ فهم بمنزلة من استوقد نارا للاضاءة و النفع حيث انتفعوا ماديا بالدخول فى الاسلام ولكن لم يكن له أثر نورى فى قلوبهم فذهب الله بما فى النار من الاضاءة [ذهب الله بنورهم] و بقى ما فيها من الاحراق و هذا مثلهم النارى و ذكر مثلهم المائى فشبههم بحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فخارت قواه و وضع اصبعيه فى اذنيه وغمض عينيه خوفا من صاعقة تصيبه لان القرآن بزواجره ونواهيه وخطابه نزل عليهم نزول الصواعق .

ب ـ و ذكر الله المثلين : المائى و النارى ـ فى سورة الرعد للحق والباطل فقال تعالى [أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال[1]] شبه الوحى الذى أنزله من السماء لحياة القلوب بالماء الذى أنزله لحياة الارض بالنبات ؛ وشبه القلوب بالأودية والسيل اذا جرى فى الاودية احتمل زبدا وغثاء فكذلك الهدى والعلم اذا سرى فى القلوب اثار ما فيها من الشهوات ليذهب بها ، و هذا هو المثل

(١) سورة الرعد رقم : ١٧

المائى فى قوله [أنزل من السماء ماء] وهكذا يضرب الله الحق والباطل .

وذكر المثل النارى فى قوله [ومما يوقدون عليه فى النار] فالمعادن من ذهب أو فضة أو نحاس أو حديد عند سبكها تخرج النار ما فيها من الخبث وتفصله عن الجوهر الذى ينتفع به فيذهب جفاء . فكذلك الشهوات يطرحها قلب المؤمن ويجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد وهذا الخبث .

النوع الثانى : من الامثال : الامثال الكامنة - و هى التى لم يصرح فيها بلفظ المثل ؛ ولكنها تدل على معان رائعة فى ايجاز ، يكون لها وقعها اذا نقلت الى ما يشبهها ، ويمثلون لهذا النوع بامثلة منها .

١ - ما فى معنى قولهم [خير الامور أوسطها] .

الف - قوله تعالى : [لا فارض و لا بكر عوان بين ذلك[١]] .

ب - قوله تعالى : فى النفقة [و الذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا و كان بين ذلك قواما[٢]] .

ج - قوله تعالى فى الصلاة : [و لا تجهر بصلاتك و لا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا[٣]] .

د - قوله تعالى فى الانفاق : [و لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك

(١) سورة البقرة رقم : ٦٨

(٢) سورة الفرقان رقم : ٦٧

(٣) سورة الاسراء رقم : ١١٠

ولا تبسطها كل البسط[1]] .

٢ ـ ما فى معنى قولهم [ليس الخبر كالعيان] .

قوله تعالى فى إبراهيم عليه السلام [قال أو لم تؤمن قال بلى و لكن ليطمئن قلبي[2]] .

٣ ـ ما فى معنى قولهم [كما تدين تدان] .

قوله تعالى : [من يعمل سوءا يجز به[3]] .

٤ ـ ما فى معنى [لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين]

قوله تعالى بلسان يعقوب [قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل[4]] .

النوع الثالث : الامثال المرسلة فى القرآن الكريم : و هى جمل أرسلت ارسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه . فهى آيات جارية مجرى الامثال .

و من أمثلة ذلك ما يأتى :

١ ـ [الآن حصحص الحق[5]] .

٢ ـ [ليس لها من دون الله كاشفة[6]] .

(١) سورة الاسرا رقم : ٢٩

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٦٠

(٣) سورة النساء رقم : ١٢٣

(٤) سورة يوسف رقم : ٦٤

(٥) سورة يوسف رقم : ٥١

(٦) سورة النجم رقم : ٥٨

٣ - [قضى الأمر الذى فيه تستفتيان[١]] .

٤ - [أليس الصبح بقريب[٢]] .

٥ - [لكل نبأ مستقر[٣]] .

٦ - [و لا يحيق المكر السيىء الا باهله[٤]] .

٧ - [قل كل يعمل على شاكلته[٥]] .

٨ - [وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم[٦]]

٩ - [كل نفس بما كسبت رهينة[٧]] .

١٠ - [هل جزاء الاحسان الا الاحسان[٨]] .

١١ - [كل حزب بما لديهم فرحون[٩]] .

١٢ - [ضعف الطالب و المطلوب[١٠]] .

---

(١) سورة يوسف رقم : ٤١

(٢) سورة هود رقم : ٥٨

(٣) سورة الأنعام رقم : ٦٧

(٤) سورة فاطر رقم : ٤٣

(٥) سورة الاسراء رقم : ٨٤

(٦) سورة البقرة رقم : ٢١٥

(٧) سوره المدثر رقم : ٣٨

(٨) سورة الرحمن رقم : ٦٠

(٩) سورة المؤمنون رقم : ٥٣

(١٠) سورة الحج رقم : ٧٣

١٣ - [لمثل هذا فليعمل العاملون[1]] .

١٤ - [لا يستوى الخبيث والطيب[2]] .

١٥ - [كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله[3]] .

١٦ - [تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى[4]] .

واختلفوا فى هذا النوع من الآيات الذى يسمونه ارسال المثل ، ما حكم استعماله استعمال الامثال ؟ فرآه بعض أهل العلم خروجا عن أدب القرآن . قال الرازى فى تفسير قوله تعالى [لكم دينكم ولى دين] جرت عادة الناس بان يتمثلوا بهذه الآية عند التاركة و ذلك غير جائز لأنه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به ، بل يتدبر فيه ، ثم يعمل بموجبه] .

ورأى آخرون أنه لا حرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن فى مقام الجد كان يأسف أسفا شديدا لنزول كارثة قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس فيقول : [ليس لها من دون الله كاشفة] أو يحاوره صاحب مذهب فاسد يحاول استهواءه إلى باطله فيقول [لكم دينكم ولى دين] و الاثم الكبير فى أن يقصد الرجل إلى التظاهر بالبراعة فيتمثل بالقرآن حتى فى مقام الهزل و المزاح .

---

(١) سورة الصافات رقم : ٦١

(٢) سورة المائدة رقم : ١٠٠

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٤٩

(٤) سورة الحشر رقم : ١٤

فوائد الامثال

١ - الأمثال تبرز المعقول فى صورة المحسوس الذى يلمسه النـاس ، فيقبله العقل لأن المعانى المعقولة لاتستقر فى الذهن الا اذا صيغت فى صورة حسية قريبة الفهم كما ضرب الله مثلا لحال المنفق رياء حيث لا يحصل من انفاقه على شىء من الثواب ؛ فقال تعالى [فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا[1]] .

٢ - وتكشف الأمثال عن الحقائق وتعرض الغائب فى معرض الحاضر كقوله تعالى [الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطـان من المس[2]] .

٣ - وتجمع الأمثال المعنى الرائع فى عبارة موجزة كالامثال الكامنة والامثال المرسلة فى الآيات الآنفة الذكر .

٤ - و يضرب المثل للترغيب فى الممثل حيث يكون الممثل به مما ترغب فيه النفوس كما ضرب الله مثلا لحال المنفق فى سبيل الله حيث يعود عليه الانفاق بخير كثير فقال تعالى : [مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة و الله يضاعف

(١) سورة البقرة رقم : ٢٦٤

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٧٥

لمن يشاء و الله واسع عليم[1]] .

٥ - و يضرب المثل للتنفير حيث يكون الممثل به مما تكرهه النفوس كقوله تعالى فى النهى عن الغيبة [و لا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه[2]] .

٦ - و يضرب المثل لمدح الممثل كقوله تعالى فى الصحابة [ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطاه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار[3]] وكذلك حال الصحابة فانهم كانوا فى بدء الأمر قليلا ، ثم أخذوا فى النمو حتى استحكم امرهم وامتلاءت قلوب اعجابا بعظمتهم .

٧ - ويضرب المثل حيث يكون للمثل به صفة يستقبحها الناس ، كما ضرب الله مثلا لحال من آتاه الله الكتاب ، فتنكب الطريق عن العمل به ، وانحدر فى الدنيا منغمسا فقال تعالى : [واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، و لو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا[4]] .

(١) سورة البقرة رقم : ٢٦١

(٢) سورة الحجرات رقم : ١٢

(٣) سورة الفتح رقم : ٢٩

(٤) سورة الاعراف رقم : ١٧٥-١٧٦

٨ ـ والامثال أوقع فى النفس ، و أبلـــغ فى الوعظ ، واقوى فى الزجر ؛ و أقوم فى الاقناع ، وقد أكثر الله تعـالى الأمثال فى القرآن الـكريم للتذكرة والعظة وقد بسطنا القول فى ذلك .

وضربها النبي صلى الله عليه و سلم فى حديثه ، واستعان بها الداعون الى الله فى كل عصر لنصرة الحق و اقامة الحجة و يستعين بها المربون ، و يتخـــذونها من وسائل الايضاح و التشويق ، و وسائل التربية فى الترغيب أو التنفير فى المدح أو الذم . الى غير ذلك مما تقدم بيانه .

انتهى بتصرف .

هذا و الله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

علم الرسم القرآنى

اتبعت اللجنة الرابعية فى استنساخ مصاحف الامصار على عهد عثمان رضى الله عنه طريقة خاصة ارتضاها هذا الخليفة فى كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه . وقد اصطلح العلماء على تسمية هذه الطريقة [برسم المصحف] وكثيرا ما ينسبون هذا الرسم الى الخليفة الذى ارتضاه فيقولون : رسم عثمان أو[الرسم العثمانى] وكان لا بد أن يحاط هذا الرسم بهالة من الاجلال والتقديس فالخليفة الذى ارتضاه ووضعه موضع التنفيذ شهيد عظيم لقى مصرعه وهو يتلو كتاب الله خاشعا متبتلا .

الأصل فى المكتوب أن يكون موافقا تمام الموافقة للمنطوق ، من غير زيادة ولا نقص ، ولا تبديل ولا تغيير . ولكن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل ، فوجدت بها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفا لأداء النطق وذلك لاغراض شريفة ظهرت وتظهر لك فيما بعد . ولم يكن ذلك منهم كيفما اتفق ، بل على أمر عندهم قد تحقق ، وجب الاعتناء به والوقوف على سببه وقد عنى العلماء بالكلام على رسم القرآن وحصر تلك الكلمات التى جاء

خطها على غير مقياس لفظها ـ وقد أفرده بالتصنيف خلائق من المتقـدمين والمتأخرين ، منهم الامام أبو عمرو الدانى إذ ألف فيه كتابه المسمى [المقنع] ومنهم العلامة أبو عباس المراكشى إذ ألف كتابا أسماه [عنوان الدليل فى رسوم خط التنزيل] .

ومنهم الشيخ محمـــد بن أحمد الشهير بالمتولى إذ نظم أرجوزة سماها [اللؤلؤ المنظوم فى ذكر جملة من المرسوم] الى غير ذلك .

قال ابن درستويه : خطان لا يقـاس عليهما خط المصحف وخط تقطيع العروض .

ومن هذا المنطلق يتبين لنا أن الخط ثلاثة أقسام :

١ ـ خط يتبع به الاقتداء السانى ، وهو رسم المصحف .

٢ ـ وخط جرى على ما أثبته اللفظ واسقاط ما حذفه وهو خط العروض فيكتبون التنوين ويحذفون همزة الوصل .

٣ ـ وخط جرى على العادة المعروفة ، وهو الذى يتكلم عليه النحوى .

وقال الفارسى :

لما عمـــل أبو بكر بن السراج كتاب الخط والهجاء قال لى : أكتب كتابا هذا قلت له : نعم إلا أنى آخذ بآخر حرف منـه ، قال : وما هو ؟ قلت : قوله : [ومن عرف صواب اللفظ عرف صواب الخطأ] .

قال أبو الحسين بن فارسى فى كتاب فقه اللغة : [يروى أن أول من كتب

الكتاب العربى والسريانى والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة كتبها فى طين وطبخه : فلما أصاب الارض الغرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه ، فاصاب إسماعيل الكتاب العربى .

وكان ابن عباس يقول : أول من وضع الكتاب العربى إسماعيل عليه السلام قال : والروايات فى هذا الباب كثيرة ومختلفة ؛ وقال ابن فارس : الذى نقوله أن الخط توقيفى لقوله تعالى [علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم] وقال : [ن والقلم و ما يسطرون] .

و أن هذه الحروف داخلة فى الأسماء التى علم الله آدم عليه السلام ، وقد ورد أمر أبى جاد ومبتدأ الكتابة أخبار كثيرة ليس هذا محلها ، وقد بسطت فى تأليف مستقل .

وزعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف باسمائها ، وانهم لم يعرفوا نحوا و لا اعرابا و لا رفعا و لا نصبا و لا همزا(١) .

(١) قالوا ، و الدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الاعراب أنه قيل له : أتهمز اسرائيل ؟ فقال : انى اذن لرجل سوء ، قالوا : و انما قال ذلك لانه لم يعرف من الهمز الا الضغط والعصر . وقيل لاخر : أتجر فلسطين ؟ فقال انى اذن لقوى . قالوا : و سمع بعض فصحاء العرب ينشد :

(نحن بنى علقمة الأخيارا)

فقيل له : نصبت (بنى) فقال : ما نصبته . وذلك أنه لم يعرف من النصب=

قال : وما اشتهر أن أبا الأسود أول من وضع العربية و أن الخليل أول من وضع العروض فلا ننكره ؛ و إنمـا نقول : [إن هذين العلمين كانا قديما وأتت عليهما الايام ، وقلا فى ايدى الناس ، ثم جددهما هذان الامامان] .

و من الدليل على عرفان القدماء [من الصحابة وغيرهم] ذلك كتابتهم المصحف على الذى يعلله النحويون فى ذوات الياء و الواو و الهمز و المد ، والقصر .

فكتبوا ذوات الياء بالياء و ذوات الواو بالواو ، و لم يصوروا الهمزة اذا كان ما قبلها ساكنا ، نحو [الخبء] و [الدفء] و[الملء] فصار ذلك [كله] حجة ، وحتى كره بعض العلماء ترك اتباع المصاحف .

وأسند الى الفراء قال : إتبـاع المصحف إذا وجدت له وجها من كلام العرب وقراءة القراء أحب الى من خلافه .

و قال أشهب : سئل مالك رحمـــه الله : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، الا على الكتبة الاولى . رواه

= الا اسناد الشيء . قالوا : وحكى الاخفش عن اعرابى فصيح أنه سئل ان ينشد قصيدة على الدال فقال : و ما الدال ؟ و حكى أن أباحيـــة النميرى سئل ان ينشد قصيدة على الكاف فقال :

كفى بالنأس من أسماء كاف   و ليس لسقمها اذ طال شاف

أبو عمرو الدانى فى المقنع ثم قال : ولا مخالف له من علماء الأمة .

و قال فى موضع آخر : سئل مالك عن الحروف فى القرآن مثل الواو والالف أترى أن تغير من المصحف اذا وجد فيه كذلك ؟ فقال : لا . قال ابو عمرو : يعنى الواو والالف المزيدتين فى الرسم لمعنى المعدومتين فى اللفظ نحو الواو فى [اولوا الالباب] [و أولات] و [الربوا] ونحوه و قال الامام أحمد رحمه الله : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك .

قلت : وكان هذا فى الصدر الاول والعلم حى غض و اما الان فقد يخشى الالتباس ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الاولى باصطلاح الأئمة لئلا يوقع فى تغير من الجهال ولكن لا ينبغى اجراء هذا على إطلاقه لئلا يؤدى الى دروس العلم وشىء أحكمته القدماء لا يترك مراعاته لجهل الجاهلين ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة . وقد قال البيهقى فى شعب الايمان : من كتب مصحفا فينبغى أن يحافظ على حروف الهجاء التى كتبوا بها تلك المصاحف ، و لا يخالفهم فيها ولا يغير مما كتبوه شيئا فانهم أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا واعظم أمانة منا فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم . و روى بسنده عن زيد قال : القراءة سنة . قال سليمان بن داود الهاشمى : يعنى ألا تخالف الناس برأيك فى الاتباع .

قال : و بمعناه بلغنى عن أبى عبيد فى تفسير ذلك : و ترى القراء

لم يلتفتوا الى مذهب العربية فى القراءة اذا خالف ذلك خط المصحف . واتباع حروف المصاحف عندنا كالسنن القائمة التى لا يجوز لاحد ان يتعداها .

قواعد رسم المصحف

وللمصحف العثمانى قواعد فى خطه و رسمه ، حصرها علماء الفن فى ست قواعد هى : [١] الحذف [٢] والزيادة [٣] والهمز [٤] والبدل [٥] والفصل والوصل [٦] وما فيه قراءتان فقرئ على احداهما ـ

[القاعدة الأولى فى الحذف] تحذف الألف من ياء النداء نحو : يا أيها الناس ويا آدم . و يا رب ، يا عباد . وهاء التنبيه نحو : هؤلاء ، ها أنتم . ونا مع ضمير نحو أنجيناكم وآتيناه . و من ذلك ، و أولئك ولكن و تبارك و فروع الأربعة و الله وإله كيف وقع و الرحمن و سبحان كيف وقع الاقل سبحان ربى و بعد لام نحو : خلائف خلاف رسول الله ، سلام ، غلام ، ايلاف ، يلاقوا . و بين لامين نحو : الكلالة ، الضلالة ، خلال الديار ، للذى ببكة . و من كل علم زائد على ثلاثة : كابراهيم و صالح و ميكائيل الا جالوت و هامان و يأجوج و مأجوج و داود لحذف واوه و اسرائيل لحذف يائه . و اختلف فى هاروت و ماروت و قارون . ومن كل مثنى اسم أو فعل ان لم يتطرف نحو : رجلان . . . . . ، يعلمان ، أضلانا ، ان هذان ، الا بما قدمت يداك . و من كل جمع تصحيح لمذكر كان أو مؤنث نحو : اللاعنون ملاقوا ربهم ، الا طاغون فى الذاريات

و الطور ، وكراما كاتبين ، والا روضات فى شورى ، وآيات للسائلين ، و مكر فى آياتنا وآياتنا بينات فى يونس ؛ والا ان تلاها همزة نحو الصائمين والصائمات أو تشديد نحو ، الضالين والصافات فان كان فى الكلمة ألف ثانية حذفت أيضا الا سبع سموات فى فصلت . و من كل جمع على مفاعل أو شبهه نحو : المساجد ومساكن ، واليتامى ، والنصارى ، والمساكين ؛ و الخبائث و الملائكة ، والثانية من خطايا كيف وقع و من كل عدد نحو ثلاث ، وساحر الا فى آخر الذاريات فان ثنى فالفاء ، والقيامة ، وشيطان وسلطان ، و تعالى ، واللاتى ، واللائى ، وخلاق ، و عالم ، وبقادر ، والاصحاب ، والانهار ، والكتابة .

ومنكر الثلاثة إلا اربعة مواضع : لكل أجل كتاب ، كتاب معلوم ، كتاب ربك فى الكهف ، وكتاب مبين فى النحل .

و من البسملة بسم الله مجراها ، و من أول الامر من سأل .

و من كل ما اجتمع فيه ألفان أو ثلاثة نحو : آدم ، آخر ، أ أشفقتم ، أ أنذرتهم ، غثاء ، و من وراء كيف وقع ؛ الا ما رأى ، ولقد رأى فى النجم ، والا نأى ، والآن ، الا فمن يستمع الآن ، والألفان من الأيكة ، الا فى الحجر و ق .

وتحذف الياء من كل منقوص منون رفعا وجرا نحو : باغ ولا عاد . والمضاف لها إذا نودى الا يا عبادى الذين أسرفوا ، ياعبادى الذين آمنوا فى العنكبوت ، أو لم يناد ، الا قل لعبادى ، أسر بعبادى فى طه وحم ، فادخلى

فى عبادى وادخلى جنتى . ومع مثلها نحو : ولي ، والحواريين ، ومتكئين ، إلا عليين ، ويهيء ، وهيء ، ومكر السيء ، وسيئة ، والسيئة ، أفعيينا ، ويحيى مع ضمير لا مفردا ، وحيث وقع أطيعون ، اتقون ، خافون ، ارهبون ، فارسلون ، واعبـــدون ؛ الا فى يٓس واخشون ، الا فى البقرة وكيدون ، الا فكيدون جميعا ؛ واتبعون إلا فى آل عمران وطه ، و لا تنظرون ، و لا تستعجلون ، و لا تكفرون ، و لا تقربون ، و لا تخزون ، ولاتفضحون ، و يهدين ، وسيهدين ، وكذبون ، و يقتلون ، أن يكذبون ، و وعيدى ، و الجوار ؛ و بالوادى والمهتدى ، الا فى الاعراف .

و تحذف الواو إذا وقعت مع واو أخرى فى نحو لا يستوون فاووا ، و إذا الموؤدة ، يئوسا . وتحذف اللام إذا كانت مدغمة فى مثلها نحو الليل ، و الذى ، الا الله . و اللهم ؛ واللعنة وفروعه ، واللهو ؛ و اللغو ، و اللؤلؤ واللات ، واللم ، واللهب ، واللطيف ؛ واللوامة .

[فرع] فى الحذف الذى لم يدخل تحت القاعدة . حذف الألف من مالك الملك ، ذرية ضعافا ، مراغما ، خادعهم ، أكالون للسحت ، بالغ ، ليجادلوكم ، و باطل ما كانوا فى الاعراف و هود ، الميعاد فى الانفال ، ترابا فى الرعد والنمل ، وعم : جذاذا ، يسارعون ، أيه المؤمنون ؛ أيه الساحر أيه الثقلان ، أم موسى فارغا ، وهل نجازى ؛ من هو كاذب ؛ للقاسية ، فى الزمر ، عاهد عليه الله ، و لا كذابا .

وحذف الياء من إبراهيم فى البقرة ، والداع إذا دعان ؛ ومن اتبعن ، وسوف يؤت الله ، وقد هدان ؛ ننج المؤمنين ؛ فلا تسألن ما ؛ يوم يأت لا تكلم ، حتى تؤتون موثقا ، تفندون ، المتعال ؛ متاب ؛ مآب ، عقاب ، فى الرعد وغافر ، وفيها عذاب ، أشركتمون من قبل ، وتقبل دعاء ؛ لئن أخرتن ، أن يهدين ، ان ترن ، أن يؤتين ، أن تعلمن ، نبغ ، الخمسة فى الكهف ، أن لاتتبعن فى طه . والباد ، و ان الله لهاد ، أن يحضرون ؛ رب ارجعون ، يسقين ، يشفين ، يحيين ، واد النمل ، أتمدونن ، فما آتان ، تشهدون ، بهاد العمى ، كالجواب ؛ ان يردن الرحمن ، لا ينقذون ، واسمعون ، لتردين ، صال الجحيم ، التلاق ؛ التناد ، ترجمون ، فاعتزلون ، يناد المنادى ، ليعبدون ، يطعمون ، تغن ، الداع ، مرتين فى القمر يسر ، أكرمن ، ولى دين .

وحذف الواو من : ويدع الانسان ، ويمح الله فى الشورى ؛ يوم يدع الداع ، سندع الزبانية .

قال المراكشى :

والسر فى حذفها من هذه الأربعة التنبيه على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به فى الوجود ، وأما ـ ويدع الانسان ـ فيدل على انه سهل عليه ويسارع فيه كما يسارع فى الخير ، بل اثبات الشر اليه من جهة ذاته أقرب اليه من الخير . وأما ـ ويمح الله الباطل ـ فللاشارة الى سرعة ذهابه واضمحلاله ، وأما ـ يدع الداع ـ فللاشارة

الى سرعة الدعاء و سرعة اجابة الداعين ، وأما الاخيرة فللاشارة الى سرعة الفصل ، و اجابة الزبانية وقوة البطش .

[القاعدة الثانية فى الزيادة]

تزاد الألف بعد الواو فى آخر كل اسم مجموع أو فى حكمه ، نحو : [ملاقوا ربهم ، بنو إسرائيل ، أولو الالباب . و بعد الهمزة المرسومة واوا نحو [تالله تفتؤا] و فى كلمات مائة و مائتين ، و الظنونا ، والرسولا ، و السبيلا ، فى قوله تعالى : [وتظنون بالله الظنونا[1]] [و أطعنا الرسولا[1]] [فاضلونا السبيلا[1]] .

و تزاد الياء فى [من نبايء المرسلين] و [ملائهم] و [من آناى الليل] فى طه ، [من تلقائ نفسى ، من وراء حجاب] فى الشورى [وايتاى ذى القربى] فى النحل ، [ولقاى الآخرة] فى الروم ، [بأييكم المفتون بنيناها بايبد ، أفائن مات ، أفائن مت] .

و تزاد الواو فى نحو [اولو ، أولئك ، اولاء ، أولات ، سأوريكم] .

قال المراكشى :

و انما زيدت هذه الاحرف فى هذه الكلمات للتهويل والتفخيم والتهديد و الوعيد ؛ كما زيدت فى [باييد] تعظيم لقوة الله تعالى التى بنى بها السماء التى لا تشابهها قوة ، و قال الكرمانى فى العجائب : كانت صورة الفتحة

(١-١-١) سورة الاحزاب رقم : ١٠-٦٦-٦٧

فى الخطوط قبل الخط العربى ألفا ، وصورة الضمة واوا ، وصورة الكسرة ياء ، فكتبت لا أوضعوا ونحوه بالالف مكان الفتحة ؛ و ايتاى ذى القربى بالياء مكان الكسرة ، و أولئك ونحوه بالواو مكان الضمة لقرب عهدهم بالخط الأول .

القاعدة الثالثة : فى الهمز

ان الهمزة إذا كانت ساكنة تكتب بحرف حركة ما قبلها . أولا أو وسطا أو آخرا نحو : إيذن . و أوتمن ، و الباساء ، و اقرأ ، و جئناك ، وهيء ، و المؤتون ، وتسؤوهم الا فادارأتم ، ورءيا ، و الرياء ، وشطئه ، فحذف فيها . وكذا أول الأمر بعد فاء نحو فاتوا ، أو واو نحو : وأتمروا . و المتحرك ان كان أولا أو اتصل به حرف زائد بالألف مطلقا : أى سواء كان فتحة أو ضما أو كسرا نحو : أيوب إذا ، أولوا ، ساصرف ، فباى ، سانزل ، الا مواضع ، أئنكم لتكفرون ، أئنا لمخرجون فى النمل ، أئنا لتاركوا الهتنا ، أئن لنا فى الشعراء ، أئذا متنا ، أئن ذكرتم ، أئفكا ، أئمة ، لئلا ، لئن ، يومئذ فيكتب فيها بالياء ، قل أؤنبئكم ، وهؤلاء فكتب بالواو . وان كان وسطا فبحرف حركته نحو سال ، سئل ، نقرؤه ، إلا جزاؤه الثلاثة فى يوسف .

ولاملأن ، وامتلأت ، واشمأزت ، واطمأنوا ، فحذف فيها . والا ان فتح وكسر أو ضم ما قبله أوضم وكسر ما قبله فبحرفه نحو : الخاطئة ، فؤادك سنقرئك ، و ان كان ما قبله ساكنا حذف هو نحو : يسئل ،

لا تجئروا ، إلا النشأة ، وموئلا فى الكهف .

فان كان الفا وهو مفتوح فقد سبق أنها تحذف لاجتماعها مع ألف مثلها إذ الهمز بصورتها نحو أنبأنا و حذف معها أيضا فى قرآنا فى يوسف والزخرف ، و ان كان ضم أو كسر فلا نحو : آباؤكم ، آبائهم إلا قال أولياؤهم ، إلى أوليائهم ، فى الأنعام ، إن أولياؤه فى الأنفال ، نحن أولياؤكم فى فصلت . و ان كان بعده حرف يجانسه فقد سبق أيضا أنه تحذف نحو : شنآن ، خاسئين ، يستهزئون ، و ان كان آخر فبحرف حركة ما قبله نحو : سبأ ، شاطئ ؛ لؤلؤا ، إلا مواضع تفتؤ ، تتفيؤا ، أتوكؤا ، لا تظمؤا ، ما يعبؤا ، ينشؤا ، يذرؤا ، نبؤا ، قال الملؤا ، الاول فى قد أفلح والثلاثة فى النمل . إلا فى خمسة مواضع اثنان فى المائدة و فى الزمر والشورى والحشر ، شركاؤا فى الأنعام ، و شورى ؛ يأتيهم أنبؤا فى الأنعام والشعراء علماؤا فيه ، من عباده العلماؤا ، والضعفاؤا فى إبراهيم و غافر فى أموالنا ما نشاؤا ، و ما دعاؤا فى غافر ؛ شفعاؤا فى الروم ؛ إن هذا لهو البلاؤا المبين فى الدخان ، برآؤا منكم تكتب فى الكل بالواو فان سكن ما قبله حذف هو نحو : ملء الأرض ، دفء ، شيء ، الخبء ، ماء ، إلا لتنوأ ، و إن تبوءا ، السوء كذا استثناه القراء .

قلت : وعندى أن هذه الثلاثة لا تستثنى لأن الألف التى بعد الواو ليست صورة الهمزة بل هى المزيدة بعد واو الفصل .

القاعدة الرابعــة : فى البدل .

[١] تكتب الألف واوا للتفخيم و ذلك فى أربعة أصول مطردة ؛ و أربعة أحرف متفرعة .

فالأصول الأربعــة هى [الصلوٰة] و [الزكوٰة] و [الحيوٰة] و [الربوٰ] .

و أما الأربعة الاحرف فهى قوله فى الانعام والكهف : [بالغدوٰة] ، والنور [كمشكوٰة] ، و فى المؤمن [النجوٰة] و فى النجم [ومنوٰة] .

فاما قوله : [و ما كان صلاتهم] ، [ان صلاتى] ، [حياتنا الدنيـا] [و ما آتيتم من ربا] فالرسم بالالف فى الكل .

والقصد بذلك تعظيم شان هذه الأحرف فان الصلاة والزكاة عمودا الاسلام و الحيـاة قاعدة النفس ، ومفتاح البقاء ، وترك الربا قاعدة الأمان و مفتاح التقوى ، ولهذا قال : [اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا . . . . الى قوله تعالى [فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله و رسوله[١]] و يشتمل على أنواع الحرام ، و أنواع الخبائث ، وضروب المفاسد ، وهو نقيض الزكاة ولهذا قوبل بينهما فى قوله تعـالى : [يمحق الله الربوا ويربى الصدقات[٢]] واجتنابه أصل فى التصرفات المالية .

و إنما كتبت بالألف فى سورة الروم لأنه ليس العام الكلى ، لان

(١) سورة البقرة رقم : ٢٧٩

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٧٦

الكلى منفى فى حكم الله عليه بالتحريم و فى نفى الكلى نفى جميع جزئياته .

فان قلت : فلم كتبت [الزكوة] هنا بالواو ؟ وهلا جرت على نظم ما قبلها من قوله تعالى : [و ما آتيتم من ربا[1]] .

قلت : لأن المراد بها الكلية فى حكم الله ؛ ولذلك قال : [فاولئك هم المضعفون] و أما كتابة [النجٰوة] بالواو فلانها قاعــدة الطاعات ومفتاح السعادات ، قال الله تعالى : [و ياقوم مالى أدعوكم الى النجٰوة [2]] و [أما الغدٰوة] فقاعدة الأزمان ؛ ومبدأ تصرف الانسان ، مشتقة من الغدو ، وأما [المشكٰوة] فقاعدة الهداية ، و مفتاح الولاية ؛ قال تعالى : [يهدى الله لنوره من يشاء[3]] .

و أما [منٰوة] فقاعدة الضلال ومفتاح الشرك والاضلال وقد وصفها الله بوصفين أحدهما يدل على تكثيرهم الاله من مثنى ، ومثلث .

و الثانى يدل على الاختلاف والتغاير ، فمن معطل ومشبه .

[تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا] .

[٢] تبـــدل الألف ياء

وتكتب الألف ياء اذا كانت عن ياء نحو [يتوفيكم] فى اسم أو فعل اتصل به ضمير أم لا ، لقى ساكنا أم لا ومنه ياحسرتى ؛ يا أسفى ، الا ترا ،

(١) سورة الروم : رقم : ٣٩
(٢) سورة المؤمن رقم ٤١
(٣) سورة النور رقم : ٣٥

وكلتا ، وهدانى ، و من عصانى ، والاقصا ، وأقصا المدينة ، وطغا المـاء ، وسيماهم ، والا ما قبلها ياء كالدنيا والحوايا ؛ الا يحى اسما أو فعـــلا وكذلك ترسم الألف ياء فى هذه الكلمات [إلى] و [على] و [أنى] بمعنى كيف و [متى] و [بلى] و [حتى] و [لدى] الا لدا الباب .

[٣] تبدل بالألف الواو الثلاثى

ويكتب بالألف الثلاثى الواوى اسما أو فعلا نحو : الصفا وشفا وعفا الاضحى كيف وقع ، و ما زكى منكم ، ودحاها وتلاها وطحاها وسجا .

[٤] تبدل بالالف نون التوكيد الخفيفة

و تكتب بالألف نون التوكيد الخفيفة ، و اذاً و بالنون كاين . وتكتب بالهاء هاء التانيث إلا أن هناك كلمات خرجت عن هذا الأصل : فتكتب بالتاء المجرورة [المفتوحة] فمن ذلك لفظ [رحمة] فى سبعة مواضع و هى :

١ - [أولئك يرجون رحمت الله[١]] .

٢ - [ان رحمت الله قريب من المحسنين[٢]] .

٣ - [رحمت الله و بركاته[٣]] .

٤ - [ذكر رحمت ربك[٤]] .

---

(١) سورة البقرة رقم : ٢١٨

(٢) سورة الاعراف رقم : ٥٦

(٣) سورة هود رقم : ٧٣

(٤) سورة مريم رقم : ٢

٥ - [فانظر إلى آثار رحمت الله[1]] .

٦ - [أم يقسمون رحمت ربك[2]] .

٧ - [ورحمت ربك خير مما يجمعون[2]] .

و من ذلك لفظ [نعمة] فى أحد عشر موضعا : و هى [« ت » تبدل هاء فى الوقف]

١ - [واذكروا نعمت الله عليكم[3]] .

٢ - [واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء[4]] .

٣ - [يايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم[5]] .

٤ - [ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا[6]] .

٥ - [و ان تعدوا نعمت الله لا تحصوها[7]] .

٦ - [و بنعمت الله هم يكفرون[8]] .

(١) سورة روم رقم : ٥٠
(٢) كلاهما بسورة الزخرف رقم ٣٢ و قد رتبتها على حسب ترتيب المصحف .
(٣) سورة البقرة رقم : ٢٣١
(٤) سورة آل عمران رقم : ١٠٣
(٥) سورة المائدة رقم : ١١
(٦) سورة ابراهيم رقم : ٢٨
(٧) سورة ابراهيم رقم : ٣٤
(٨) سورة النحل رقم : ٧٢

٧ - [يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها[١]] .

٨ - [واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون[٢]] .

٩ - [ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمت الله[٣]] .

١٠ - [يايها الناس اذكروا نعمت الله عليكم[٤]] .

١١ - [فما أنت بنعمت ربك بكاهن و لا مجنون[٥]]

و الحكمة فى ذلك أن الحاصلة بالفعل فى الوجود تمد ، نحو قوله فى إبراهيم : [وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها] بدليل قوله تعالى : [ان الانسان لظلوم كفار] فهذه نعمة متصلة بالظلوم الكفار تنزيلها . وهذا بخلاف التى فى سورة النحل [وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها] كتبت مقبوضة لانها بمعنى الاسم بدليل قوله تعالى : [ان الله لغفور رحيم] فهذه نعمة وصلت من الرب عزوجل فهى ملكوتية ؛ ختمها باسمه عز وجل ، وختم الأولى باسم الانسان و من ذلك [كلمة] فى موضع واحد وهو :

١ - [وتمت كلمت ربك الحسنى[٦]] .

(١) سورة النحل رقم : ٨٣

(٢) سورة النحل رقم : ١١٤

(٣) سورة لقمان رقم : ٣١

(٤) سورة الفاطر رقم : ٣

(٥) سورة الطور رقم : ٢٩

(٦) سورة الاعراف رقم : ١٣٧

ومن ذلك [سنة] فى خمسة مواضع وهى :

١ - [فقد مضت سنت الأولين[1]] .

٢ - [سنت من قد أرسلنا قبلك من رسلنا[2]] .

٣ - ٤ [فهل ينظرون الا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا .

٥ - [ولن تجد لسنت الله تحويلا[3]] .

والحكمة فى ذلك أنها بمعنى الاهلاك والانتقام الذى فى الوجود .
وما يدل على أنها بمعنى الانتقام قوله تعالى قبلها [إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف[4]] .

وقوله بعدها [وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة[5]] .

وهكذا الشأن فى [سنة] فى مواضعها الخمسة المذكورة ومن ذلك [بقيت] فى موضع واحد وهو :

١ - [بقيت الله[6]] .

والحكمة فى ذلك لأنها بمعنى ما يبقى فى أموالهم من الربح المحسوس ،

(١) سورة الانفال رقم : ٣٨

(٢) سورة الاسراء رقم : ٧٧

(٣) ثلاثتها فى فاطر رقم : ٤٣

(٤) سورة الانفال رقم : ٣٨

(٥) سورة الانفال رقم : ٣٩

(٦) سورة هود رقم : ٨٦

لأن الخطاب إنما هو فيها من جهة الملك .

و من ذلك [فطرت] فى موضع واحد وهو :

١ - [فطرت الله التى فطر الناس عليها[1]] والحكمة فى ذلك وصفها بانها فطر الناس عليها ، فهى فصل خطاب فى الوجود كما جاء فى الحديث [كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه ، أو ينصرانه أو يمجسانه] .

و من ذلك [قرت] فى موضع واحد وهو :

١ - [قرت عين لى ولك[2]] والحكمة فى ذلك لأنها بمعنى الفعل إذ هو خبر عن موسى ، وهو موجود حاضر فى الملك و هذا بخلاف [قرة أعين[3]] فانها هنا بمعنى الاسم ؛ وهو ملكوتى إذ هو غير حاضر .

و من ذلك [معصيت] فى موضعين وهما :

١ - ٢ - [و معصيت الرسول و اذا جاءوك] [و معصيت الرسول و تناجوا] كلاهما بسورة المجادلة . و الحكمة فى ذلك لأنهما بمعنى الفعل .

والتقدير : و لا تتناجوا بأن تعصوا الرسول ، و نفس هذا النجو الواقع منهم فى الوجود هو فعل معصية لوقوع النهى عنه .

و من ذلك [اللعنة] فى موضعين وهما : فى آية المباهلة ، و فى آية اللعان :

---

(١) سورة الروم رقم : ٣٠

(٢) سورة القصص رقم : ٩

(٣) سورة الفرقان رقم : ٧٤

١ - [ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين[١]] .

٢ - [والخامسة أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين[٢]] والحكمة فى ذلك كونهما بمعنى الفعل ظاهر .

و من ذلك [شجرت] فى موضع واحد وهو :

١ - [ان شجرت الزقوم[٣]] و الحكمة فى ذلك لأنها بمعنى الفعل اللازم وهو تزقها بالأكل ، بدليل قوله تعالى : [فى البطون] فهـذه صفة فعل كما فى الواقعة : [لآكلون من شجر من زقوم[٤]] . و هذا بخلاف قوله : [أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم] فى الصافات فان هذه وصفها بانها : [فتنة للظالمين[٥]] .

[وانها تخرج فى أصل الجحيم[٦]] فهو حلية للاسم ؛ فلذلك قبضت تاؤها .

و من ذلك [جنت] فى موضع واحد وهو :

١ - [وجنت نعيم[٧]] و الحكمة فى ذلك كونها بمعنى فعـــل التنعم بالنعيم ،

---

(١) سورة آل عمران رقم : ٦١

(٢) سورة النور رقم : ٧

(٣) سورة الدخان رقم : ٤٣

(٤) سورة الواقعة رقم : ٥٢

(٥) سورة الصافات رقم : ٦٣

(٦) سورة الصافات رقم : ٦٤

(٧) سورة الواقعة رقم : ٨٩

بدليل اقترانها بالروح و الريحان و تاخرها عنهما و هما من الجنة ؛ فهذه جنة خاصة بالمنعم بها .

و أما [من ورثة جنة النعيم[1]] و [أن يدخل جنة نعيم[2]] فان هذا بمعنى الاسم الكلى ؛ و لم تمد [تصلية جحيم[3]] لأنها اسم ما يفعل بالمكذب فى الآخرة ، أخبرنا الله بذلك ، فالمؤمن يعلمه تصديقا ، و لا يحذف لفعل أبدا ، والضابط لذلك : أن ما كان بمعنى الاسم لم تمد تاؤه ، مثل : [زهرة الحياة الدنيا[4]] و [صبغة الله[5]] و [زلزلة الساعة[6]] و [تحلة أيمانكم[7]] و [رحلة الشتاء والصيف[8]] و [حمالة الحطب[9]]

و من ذلك [ابنت] فى موضع واحد و هو :

١ - [ومريم ابنت عمران[10]] والحكمة فى ذلك التنبيه على معنى الولادة

---

(١) سورة الشعراء رقم : ٨٥

(٢) سورة المعارج رقم : ٣٨

(٣) سورة الواقعة رقم : ٩٤

(٤) سورة طه رقم : ٣١

(٥) سورة البقرة رقم : ١٣٨

(٦) سورة الحج رقم : ١

(٧) سورة التحريم رقم : ٢

(٨) سورة قريش رقم : ١

(٩) سورة المسد رقم : ٤

(١٠) سورة التحريم رقم : ١٢

والحدوث من النطفة المهينة ، ولم يضف فى القرآن ولد إلى والد و وصف به اسم الولد إلا عيسى وأمه عليهما السلام ، لما اعتقد النصارى فيهما أنهما الهان ؛ فنبه سبحانه باضافتهما الولادية على جهة حدوثهما بعد عدمهما حتى أخبر الله تعالى فى موطن بصفة الاضافة دون الموصوف و قال : [و جعلنا ابن مريم و أمه آية[1]] ـ لما غلوا فى الوهيته أكثر من أمه كما نبه تعالى على حاجتهما و تغير أحوالهما فى الوجود ، يلحقهما ما يلحق البشر ، قال تعالى : [كانا يأكلان الطعام[2]] .

و من ذلك [امرأت] فى سبعة مواضع و هى :

١ ـ [اذ قالت امرأت عمران[3]] .

٢ ـ [و قال نسوة فى المدينة امرأت العزيز[4]] .

٣ ـ [قالت امرأت العزيز[4]] .

٤ ـ [و قالت امرأت فرعون[5]] .

٥ ـ [امرأت نوح[6]] .

---

(١) سورة المؤمنون رقم : ٥٠

(٢) سورة المائدة رقم : ٧٥

(٣) سورة آل عمران رقم : ٣٥

(٤) كلاهما فى سورة يوسف رقم : ٣٠ ، ٥١

(٥) سورة القصص رقم : ٩

(٦) سورة تحريم رقم : ١٠

٦ - امرأت لوط١ .

٧ - امرأت فرعون١ .

ومن خمس من النساء كلها ممدودة تنبيها على فعل التبعل والصحبة وشدة المواصلة والمخالطة والائتلاف فى الموجود والمحسوس . و أربع منهن منفصلات فى بواطن أمرهن عن بعولتهن باعمالهن . و واحدة خاصة واصلت بعلها باطنا وظاهرا و هى امرات عمران فجعل الله لها ذرية طيبة واكرمها بذلك وفضلها على العالمين و واحدة من الأربع انفصلت بباطنها عن بعلها طاعة لله و توكلا عليه وخوفا منه فنجاها و أكرمها و هى امرأت فرعون . واثنتان منهن انفصلتا عن أزواجهن كفرا بالله فاهلكهما الله ودمرهما و لم ينتفعا بالوصلة الظاهرة مع أنهما أقرب وصلة بافضل أحباب الله كما لم تضر امرأت فرعون وصلتها الظاهرة باخبث عبيد الله . و واحدة انفصلت عن بعلها بالباطن اتباعا للهوى وشهوة نفسها فلم تبلغ من ذلك مرادها ، مع تمكنها من الدنيا واستيلائها على من مالت اليه بحبها وهو فى بيتها وقبضتها وتحت يديها فلم يغن ذلك عنها شيئا . وقوتها و عزتها إنما كان لها من بعلها [العزيز] ولم ينفعها ذلك فى الوصول إلى ارادتها مع عظيم كيدها . كما لم يضر يوسف ما امتحن به منها ؛ و نجاه الله من السجن و مكن له فى الأرض و ذلك بطاعته لربه . و لا سعادة الا بطاعة الله ، و لا شقاوة الا بمعصيته ؛ فهذه كلها عبر وقعت بالفعل فى الوجود فى شان كل أمرأة منهن فلذلك مدت تاءاتهن .

(١) سورة التحريم رقم : ١٠-١١

القاعدة الخامسة : فى الوصل والفصل

اعلم أن الموصول فى الوجود توصل كلماته فى الخط كما توصل حروف الكلمة الواحدة ، والمفصول معنى فى الوجود يفصل فى الخط ، كما تفصل كلمة عن كلمة .

فمن ذلك [إنما] بالكسر كله موصول إلا واحدا [إن ما توعدون لآت[1]] . لأن حرف [ما] هنا وقع على مفصل فمنه خير موعود به لأهل الخير ، ومنه شر موعود به لأهل الشر ، فمعنى [ما] مفصول فى الوجود و العلم .

و من ذلك [أنما] بالفتح كله موصول الا حرفان :

١ - [وأن ما يدعون من دونه هو الباطل[2]] .

٢ - [وأن ما يدعون من دونه الباطل[3]] .

وقع الفصل عن حرف التوكيد ، إذ ليس لدعوى غير الله وصل فى الوجود إنما وصلها فى العدم و النفى ، بدليل قوله تعالى : عن المؤمن [أنما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا و لا فى الآخرة[4]] . فوصل [أنما] فى النفى وفصل فى الاثبات ، لانفصاله عن دعوة الحق .

---

(١) سورة الأنعام رقم : ١٣٤

(٢) سورة الحج رقم : ٦٢

(٣) سورة لقمان رقم : ٣٠

(٤) سورة غافر رقم : ٤٣

ومن ذلك [كلما] موصول كله إلا ثلاثة هى :

١ - [كل ما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها[١]] .

فما ردوا اليه ليس شيئا واحدا فى الوجود ، بل أنواع مختلفة فى الوجود ، وصفة مردهم ليست واحدة بل متنوعة ، فانفصل [ما] لأنه لعموم شيء مفصل فى الوجود .

٢ - [وآتاكم من كل ما سألتموه[٢]] فحرف [ما] واقع على أنواع مفصلة فى الوجود .

٣ - [كل ما جاء أمة رسولها كذبوه[٣]] و الأمم مختلفة فى الوجود ، فحرف [ما] واقع على تفاصيل موجودة لتفصل .

وهذا بخلاف قوله : [كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم[٤]] فان هؤلاء هم بنو إسرائيل أمة واحدة بدليل قوله [فلم تقتلون أنبياء الله[٥]] - والمخاطبون على عهد النبي صلى الله عليه و سلم لم يقتلوا الأنبياء ، إنما باشره آباؤهم ، لكن مذهبهم فى ذلك واحد وهو - الغدر والخيانة - فحرف [ما] إنما يشمل تفاصيل الزمان ، وهو تفصيل لا مفصل له فى الوجود الا بالفرض

(١) سورة النساء رقم : ٩١

(٢) سورة ابراهيم رقم : ٣٤

(٣) سورة المؤمنون رقم: ٤٤

(٤) سورة المائدة رقم : ٧٠

(٥) سورة البقرة رقم : ٩١

والتوهم ؛ لا بالحس فوصلت [كل] لاتصال الأزمنة فى الوجود ، وتلازم أفرادها المتوهمة .

وكذلك : [كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا[1]] هذا موصول لأن حرف [ما] جاء لتعميم الأزمنة ؛ فلا تفصيل فيها فى الوجود و ما رزقوا غير مختلف ، لقوله تعالى : [وأتوا به متشابها] .

و من ذلك [أينما] موصول إذا كانت [ما] غير مختلفة الأقسام فى الفعل الذى بعدهـا ؛ مثل : [أينما يوجهه[2]] [فاينما تولوا[3]] [أينما ثقفوا أخذوا[4]] [أينما تكونوا يدرككم الموت[5]] .

فهذه كلها لم تخرج [الأين] الملكى وهو متصل حسا ، و لم يختلف فيه الفعل الذى مع [ما] وتفصل [اين] حيث تكون [ما] مختلفة الأقسام فى الوصف الذى بعدها مثل : [أين ما كنتم تعبدون[6]] [و هو معكم أين ما كنتم[7]] (أين ما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس[8]] .

(١) سورة البقرة رقم : ٢٥
(٢) سورة النحل رقم : ٨٦
(٣) سورة البقرة رقم : ١١٥
(٤) سورة الاحزاب رقم : ٦١
(٥) سورة النساء رقم : ٧٨
(٦) سورة الشعراء رقم : ٩٢
(٧) سورة الحديد رقم : ٤

و من ذلك : [بئس ما] مفصول الا حرفين باتفاق وحرف مختلف فيه :
أما الحرفان الموصولان باتفاق جميع النقلة فهما :
١ - [بئسما اشتروا به أنفسهم[١]] .
٢ - [بئسما خلفتمونى من بعدى[٢]] .

و اما الحرف المختلف فيه فهو [قل بئس ما يأمركم به ايمانكم[٣]] لحرف [ما] ليس فيه تفصيل ، لانه بمعنى واحد فى الوجود من جهة كونه باطلا مذموما على خلاف حال [ما] فى المائدة : [ترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون[٤]] لحرف [ما] يشتمل على الأقسام الثلاثة التى ذكرت قبل .

وكذلك : [لبئس ما قدمت لهم أنفسهم[٥]] حرف [ما] مفصول ، لأنه يعمل ما بعده من الأقسام . و من ذلك : [يوم هم] فى موضعين :
١ - [يوم هم بارزون[٦]] ظرفان فصل الضمير عنهما لانه مبتدأ ، و أضيف

= (٨) سورة آل عمران رقم : ١١٢

(١) سورة البقرة رقم : ٩٠
(٢) سورة الاعراف رقم : ١٥٠
(٣) سورة البقرة رقم : ٩٣
(٤) سورة المائدة رقم : ٦٢
(٥) سورة المائدة رقم : ٨٠
(٦) سورة غافر رقم : ١٦

اليوم الى الجملة المنفصلة عنه . و اما [يومهم الذى فيــــه يصعقون[1]] و [يومهم الذى يوعدون[2]] وصل الضمير لانه مفرد ، فهو جزء الكلمة المركبة . من اليوم المضاف والضمير المضاف إليه .

و من ذلك [فى ما] تفصـــل [فى] عن [ما] فى موضع واحد اتفاقا و هو قوله تعالى : [اتتركون فى ما ههنا آمنين[3]] .

و اختلف فى عشرة مواضع و هى :

الاول : [فى ما فعلن فى أنفسهن من معروف[4]] .

الثـانى : [ليبلوكم فى ما ءاتاكم[5]] .

الثالث : [فى ما أوحى الى محرما[6]] .

الرابع : [ليبلوكم فى ما ءاتاكم[7]] .

الخامس : [و هم فى ما اشتهت أنفسهم خالدون[8]] .

(١) سورة الطور رقم : ٤٥

(٢) سورة الزخرف رقم : ٨٣

(٣) سورة الشعراء رقم : ١٤٦

(٤) الموضع الثالث فى البقرة رقم ٢٤٠

(٥) سورة المائدة رقم : ٤٨

(٦) سورة الانعام رقم : ١٤٥

(٧) سورة الانعام رقم : ١٦٥

(٨) سورة الانبياء رقم : ١٠٢

السادس : [فى ما أفضتم فيه عذاب عظيم[1]] .

السابع : [من شركاء فى ما رزقناكم[2]] .

الثامن : [فى ما هم فيه يختلفون[3]] .

التاسع : [فى ما كانوا فيه يختلفون[4]] .

العاشر : [وننشئكم فى ما لا تعلمون[5]] .

وتوصل فيما عدا ذلك نحو : [فيما كانوا فيه يختلفون[6]] و [فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف[7]] .

ومن ذلك [كى لا] تفصل [كى] عن [لا] فى ثلاثة مواضع وهى :

الاول : [لكى لا يعلم بعد علم شيئا[8]] .

الثانى : [كى لا يكون على المؤمنين حرج[9]] .

---

(١) سورة النور رقم : ١٤

(٢) سورة الروم رقم : ٢٨

(٣) سورة الزمر رقم : ٣

(٤) سورة الزمر رقم : ٤٦

(٥) سورة الواقعة رقم : ٦١

(٦) الموضع الأول من البقرة آية ١١٣

(٧) الموضع الثانى من البقرة آية ٢٣٤

(٨) سورة النحل رقم : ٧٠

(٩) سورة الأحزاب رقم : ٣٧

الثالث : [كى لا يكون دولة بين الاغنياء[1]] .

و ما عدا ذلك فوصول :

و من ذلك : [و إذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون[2]]

فكتبتا موصولتين بدليل حذف الألف بعـــد الواو فيهما فدل ذلك على أن الواو فيهما غير مفصولة : إنتهى بتصرف .

و من ذلك : [فمال] تفصل لام [مال] عن ما بعدها فى أربعة مواضع و هى :

الأول : [فمال هؤلاء القوم[3]] .

الثانى : [مال هذا الكتاب[4]] .

الثالث : [و قالوا مال هذا الرسول[5]] .

الرابع : [فمال الذين كفروا[6]] و ما عدا ذلك فهو موصول :

و من ذلك : [إبن أم[7]] و ما عداها فوصول وهو قوله تعالى [قال

---

(١) سورة الحشر رقم : ٧

(٢) سورة المطففين رقم : ٣

(٣) سورة النساء رقم : ٧٨

(٤) سورة الكهف رقم : ٤٩

(٥) سورة الفرقان رقم : ٧

(٦) سورة المعارج رقم : ٣٦

(٧) سورة الأعراف رقم : ١٥٠

يا بنؤم لا تأخذ بلحيتى و لا برأسى[1]]

و من ذلك ستة أحرف تفصل عنها بعدها حتميا و هى :

[الالف ، و الواو ، و الدال ، و الذال ، و الراء ، و الزاى] لأنها علامات لانفصالات ونهايات ، وسائر الحروف توصل فى الكلمة الواحدة :

و من ذلك :[عن ما] تفصل [عن] عن [ما] فى موضع واحد وهو [فلما عتوا عن ما نهوا عنه[2]] . و توصل فيما عدا الموضع المذكور نحو [سبحانه و تعالى عما يشركون[3]]

و من ذلك : [من ما] تفصل [من] الجارة عن [ما] فى ثلاثة مواضع : وهى

١ - [من ما ملكت أيمانكم[4]] .

٢ - [هل لكم من ما ملكت أيمانكم[5]] .

٣ - [و أنفقوا من ما رزقناكم[6]] . و ما عدا ذلك فموصول نحو : [فويل لهم مما كتبت أيديهم[7]] .

---

(١) سورة طه رقم : ٩٤
(٢) سورة الاعراف رقم : ١٦٦
(٣) سورة يونس رقم : ١٨
(٤) سورة النساء رقم : ٢٥
(٥) سورة الروم رقم : ٢٨
(٦) سورة المنافقين رقم : ١٠
(٧) سوره البقرة رقم : ٧٩

ومن ذلك : [أم من] تفصل [أم] عن [من] فى أربعة مواضع هى :

١ - [أم من يكون عليهم وكيلا[١]] .

٢ - [أم من أسس بنيانه[٢]] .

٣ - [أم من خلقنا[٣]] .

٤ - [أم من يأتى[٤]] ..... و ما عدا ذلك فموصول نحو : [أمن يجيب المضطر اذا دعاه[٥]] .

وكذلك : [عن من] تفصل [عن] عن [من] فى موضعين : هما

١ - [ويصرفه عن من يشاء[٦]] .

٢ - [فأعرض عن من تولى عن ذكرنا[٧]] .

و من ذلك : [عمن] موصول كله نحو [فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا[٨]] .

---

(١) سورة النساء رقم : ٢٥

(٢) سورة التوبة رقم : ١٠٩

(٣) سورة الصافات رقم : ٣

(٤) سورة فصلت رقم : ٤٠

(٥) سورة النمل رقم : ٦٢

(٦) سورة النور رقم : ٤٣

(٧) سورة النجم رقم : ٢٩

(٨) سورة يونس رقم : ١٧

وكذلك : [و ان ما نرينك] تفصل [ان] عن [ما] فى موضع واحد وهو : [و ان ما نرينك بعض الذى نعدهم[1]] .

و ما عداه فموصول : نحو [فاما نرينك بعض الذى نعدهم[2]] .

و من ذلك [فالم] وصلت [ان] بـــ [لم] فى موضع واحد وهو : [فالم يستجيبوا لكم[3]] وفصلت فيما عدا ذلك نحو : [فان لم يستجيبوا لك[4]] .

و من ذلك [ألن] توصل [أن] بـــ [لن] فى موضعين وهما :

١ - [ألن نجعل لكم موعدا[5]] .

٢ - [ألن نجمع عظامه[6]] .

و تفصل فيما عدا هذين الموضعين نحو : [بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون[7]] .

و من ذلك : كل ما فى القرآن [ألا] فهو موصول الا عشرة مواضع فهى مفصولة تكتب النون فيها باتفاق ، و ذلك حيث ظهر فى الوجود صحة

---

(١) سورة الرعد رقم : ٤٠

(٢) سورة غافر رقم : ٧٧

(٣) سورة هود رقم : ١٤

(٤) سوره القصص رقم : ٥٠

(٥) سورة الكهف رقم : ٤٨

(٦) سورة القيامة رقم : ٣

(٧) سورة الفتح رقم : ١٢

توكيد القضية ولزومها :

الاول : [حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق[1]] .

الثانى : [أن لا يقولوا على الله الا الحق و درسوا ما فيه[2]] .

الثالث : [وظنوا أن لا ملجا من الله الا اليه[3]] .

الرابع : [و أن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون[4]] .

الخامس : [أن لا تعبدوا الا الله[5]] .

السادس : [أن لا تشرك بى شيئا[6]] .

السابع : [أن لا تعبدوا الشيطان[7]] .

الثامن : [و أن لا تعلوا على الله[8]] .

التاسع : [أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين[9]] .

---

(١) سورة الاعراف رقم : ١٠٠

(٢) سورة الاعراف رقم : ١٦٩

(٣) سورة التوبة رقم : ١١٨

(٤) سورة هود رقم : ١٤

(٥) سورة هود رقم : ٢٥

(٦) سورة الحج رقم : ٢٦

(٧) سورة يٰسين رقم : ٦٠

(٨) سورة الدخان رقم : ١٩

(٩) سورة القلم : رقم : ٢٤

العـاشر : [أن لا يشركن بالله شيئا[1]] .

و اختلف فى موضع واحد و هو قوله تعالى : [أن لا اله أنت سبحانك[2]] فرسم فى بعض المصاحف مفصولا و فى بعضها موصولا.

أما [إن] مكسورة الهمزة فوصولة مع [لا] فى جميع المصـاحف نحو : [الا تنصروه فقد نصره الله[3]] .

و من ذلك : [لام التعريف] المدغمة فى اللفظ فى مثلها أو غيرها ، لما كانت للتعريف ـ وشأن المعرف أن يكون أبين وأظهر ، أظهرت فى الخط و وصلت بالكلمة ، لأنها صارت جزءا منها من حيث هى معرفة بها ، هذا هو الأصل ، وقد حذف حيث يخفى معنى الكلمة مثل [الليـل] فانه بمعنى مظلم لا يوضـح الأشياء بل يسترها و يخفيها ، وكونه واحدا اما للجزئى أو للجنس فأخفى حرف تعريفه فى مثله ، فان تعين للجزئى بالتأنيث رجع الى الأصل .

و مثل [الذى] و [التى] و تثنيتها و جمعها ، فانه مبهم فى المعنى والكم لأن أول حده للجزئى و للجنس للثلاث أو غيرها ، ففيه ظلمة الجهل كالليل .

و مثـل [الئ] فى الايجاب ، فان لام التعريف دخلت على [لا] النافية .

و فيها ظلمة العدم كالليل ، ففى هـذه الظلمات الثلاث يخفى حرف

(1) سورة الممتحنة رقم : ١٢
(2) سورة الانبياء رقم : ٨٧
(3) سورة التوبة رقم : ٤٠

التعريف . وكذلك [الأيكة] نقلت حركة همزتها على لام التعريف وسقطت همزة الوصل لتحريك اللام ، فاجتمعت الكلمتان ، فصارت [ليكة] علامة على اختصار و تلخيص و جمع فى المعنى ، و ذلك فى حرفين :

أحدهما فى الشعراء قوله [كذب أصحاب ليكة المرسلين[1]] جمع فيه قصتهم مختصرة و موجزه فى غاية البيـان ، و جعلها جملة فهى آخر قصة فى السورة بدليل قوله [ان فى ذلك لآية[2]] فافردها .

و الثانى فى ص قوله [و أصحاب ليكة اولئك الأحزاب[3]] جمع الأمم فيها بالقابهم و جعلهم جهة واحدة ، هم آخر أمة فيها و وصف الجملة . قال تعالى : ـ [أولئك الأحزاب] . و ليس الاحزاب وصفا لكل منهم بل هو وصف جميعهم .

و جاء بالانفصال على الأصل حرفان نظير هذين الحرفين :

أحدهما [و ان كان أصحاب الأيكة لظالمين[4]] أفردهم بالذكر و الوصف و الثانى [و أصحاب الأيكة[5]] جمعوا فيـه مع غيرهم ، ثم حكم على كل منهم لا على الجمـــلة ، قال تعالى : ـ [كل كذب الرسل[5]] فحيث يعتبر فيهم

(١) سورة الشعراء رقم : ١٧٦

(٢) سورة الشعراء رقم : ١٩٠

(٣) سورة ص رقم : ١٣

(٤) سورة الحجر رقم : ٧٨

(٥) سورة ق رقم : ١٤

التفصيل فصل لام التعريف، و حيث يعتبر فيهم التوصيل وصل للتخفيف .

و من ذلك : [لتخذت عليه أجرا[1]] حذفت الألف و وصلت لأن العمل فى الجدار قد حصل فى الوجود فلزم الأجر ، واتصل به حكما ، بخلاف : [لاتخذوك خليلا[2]] ليس فيه وصلة اللزوم .

كتابة فواتح السور

كتبوا [الم] و [الر] موصولا . ان قيل لم وصلوه والهجاء مقطع لا ينبغى وصله لأنه لو قيل لك : ما هجاء [زيد] ؟ قلت : زاى ، ياء ، دال ، و تكتبه مقطعا ، لتفرق بين هجاء الحروف وقراءته . قيل انما وصلوه لأنه ليس هجاء لاسم معروف ، وانما هى حروف اجتمعت ، يراد بكل حرف معنى.

فان قيل : لم قطعوا [حم عسق] ولم يقطعوا [المص] و [كهيعص] ؟ قيل حم قد جرت فى أوائل سبع سور ، فصارت اسما للسور فقطعت ما قبلها .

و جوزوا فى (ق) و (ص) وجهين : ـ من جزمها فهما حرفان و من كسر آخرهما فعلى أنه أمر كتب على لفظها .

القاعدة السادسة :

فيما فيه قراءتان فكتبت على إحداهما ، و مرادنا غير الشاذ

(١) سورة الكهف رقم : ٧٧

(٢) سورة الاسراء رقم : ٧٣

من ذلك : مالك يوم الدين ، يخادعون ، و واعدنا ، و الصاعقة ، و الرياح ، و تفادوهم ، و تظاهرون ، و لا تقاتلوهم و نحوها . و لولا دفاع ، فرهان ، طائرا فى آل عمران والمائدة ، مضاعفة ونحو [عاقدت أيمانكم ، الأوليان لامستم ، قاسية] ، قياما للناس ، خطيآتكم ، فى الاعراف ، طائفة ، حاشا لله ، و سيعلم الكافر ، تزاور ، زاكية ، فلا تصاحبنى ، لاتخذت ، مهادا ، وحرام على قرية ، ان الله يدافع ، سكارى وما هم بسكارى ، المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، سراجا ، بل ادارك ؛ و لا تصاعر ، ربنا باعد ؛ أساورة ، بلا ألف فى الكل ، و قد قرئت بها و بحذفها ، و غيابت الجب ، و أنزل عليه آية فى العنكبوت ؛ و ثمرت من أكمامها فى فصلت و جمالات ، فهم على بينت ، و هم فى الغرفات آمنون . بالتاء ، و قد قرئت بالجمع و الافراد . و تقية بالياء و لأهب بالألف ، و يقص الحق بلا ياء ؛ و آتونى زبر الحديد بالنقط ننجى من نشاء ، ننج المؤمنين ، بنون واحدة ، و الصراط كيف و قع ، و بصطة فى الاعراف والمصيطرون ، و مصيطر ، بالصاد لا غير . و قد تكتب الكلمة صالحة للقراءتين نحو : فكهون بلا ألف وهى قراءة ؛ وعلى قراءتها هى محذوفة رسما لانه جمع تصحيح .

[فرع]

فيما كتب موافقا لقراءة شاذة من ذلك : ـ [ان البقر تشابه علينا] أو كلما عاهدوا عهدا ، ما بقى من الربوا ، و قرىء بضم الباء و سكون الواو و فلقاتلوكم ، انما طائركم ، طائره فى عنقه ، تساقط ، سامر ، وفصاله فى عامين ،

عليهم ثياب سندس ؛ ختامه مسك ، فادخلى فى عبادى .

و أما القراءات المختلفة المشهورة بزيادة لا يحتملها الرسم و نحوها نحو : - أوصى ، و وصى و تجرى تحتها . و من تحتها ، و سيقولون الله ، و لله ، و ما عملت أيديهم ، و ما عملته . فكتابته على نحو قراءته ، وكل ذلك وجد فى مصاحف الامام .

[فائدة]

كتبت فواتح السور على صورة الحروف أنفسها لا على صورة النطق بها اكتفاء بشهرتها .

[فائدة أخرى]

هل تجوز كتابته بقلم غير العربى ؟ قال الزركشى : لم أر فيه كلاما لأحد من العلماء . قال : و يحتمل الجواز لأنه قد يحسنه من يقرؤه بالعربية - و الاقرب المنع - كما تحرم قراءته بغير لسان العرب ، و لقولهم : القلم أحد اللسانين و العرب لا تعرف قلما غير العربى ؛ و قد قال الله تعالى بلسان عربى مبين - ا هـ .

[آراء العلماء فى رسم المصحف]

للعلماء فى رسم المصحف آراء ثلاثة هى :

الرأى الاول :

أنه توقيفى لا تجوز مخالفته و اليه ذهب الجمهور و قد سبق أن بسطت القول [فى الشواهد] على ذلك من أقوال العلماء .

الرأى الثانى :

أن رسم المصاحف اصطلاحى لا توقيفى ، و عليه فتجوز مخالفته وممن جنح الى هذا الرأى ابن خلدون فى مقدمته . وممن تحمس له القاضى أبو بكر فى الانتصار اذ يقول ما نصه : ـ و أما الكتاب فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئا ؛ اذ لم يأخذ على كتاب القرآن و خطاط المصاحف لا رسما بعينه دون غيره أوجبه عليهم و ترك ما عداه ، اذ وجوب ذلك لا يدرك الا بالسمع و التوقيف . و ليس فى نصوص الكتاب و لا مفهومه أن رسم القرآن و ضبطه لا يجوز إلا على و جه مخصوص و حد محدود لا يجوز تجاوزه ، ولا فى نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه ، ولا فى اجماع الأمة ما يوجب ذلك و لا دلت عليه القياسات الشرعية . بل السنة دلت على جواز رسمه باى وجه سهل لان الرسول صلى الله عليه و سلم كان يأمر برسمه و لم يبين لهم وجها معينا و لا نهى أحدا عن كتابته و لذلك اختلفت خطوط المصاحف فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ و منهم من كان يزيد و ينقص لعلمه بان ذلك اصطلاح وان الناس لا يخفى عليهم الحال . و لاجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية و الخط الاول و أن يجعل اللام على صورة الكاف ، و أن تعوج الالفات و ان يكتب على غير هذه الوجوه ، و جاز أن يكتب المصحف بالخط و الهجاء القديمين ؛ و جاز أن يكتب بالخطوط و الهجاء المحدثة ، و جاز أن يكتب بين ذلك .

و بالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص عليه

أن يقيم الحجة على دعواه . و أنى له ذلك ؟ . ؟ ١ ه بتلخيص .

و نزيدك هنا معرفة ما ذكره العلامة ابن المبارك نقلا عن العارف بالله شيخه عبد العزيز الدباغ اذ يقول فى كتابه الابريز ما نصه : [رسم القرآن سر من اسرار الله المشاهدة وكمال الرفعة] .

قال ابن المبارك فقلت له : هل رسم الواو بدل الألف فى نحو [الصلاة] والزكاة ، والحياة ، ومشكاة ، وزيادة الواو فى [ساوريكم ، وأولئك ، و أولاء ، و أولات] وكالياء فى نحو [هديهم ، وملائه ، و بأييكم ، و بأييد] . هذا كله صادر عن النبى صلى الله عليه و سلم أو من الصحابة ؟

فقال : هو صادر عن النبى صلى الله عليه و سلم وهو الذى أمر الكتاب من الصحابة أن يكتبوه على هذه الهيئة فما نقصوا و لا زادوا على ما سمعوه من النبى] .

فقلت له : ان جماعة من العلماء ترخصوا فى أمر الرسم و قالوا : انما هو اصطلاح الصحابة مشوا فيه على ما كانت قريش تكتب عليه فى الجاهلية . و انما صدر ذلك من الصحابة ؛ لأن قريشا تعلموا الكتابة من أهل الحيرة ، و أهل الحيرة ينطقون بالواو فى الربا ، فكتبوا على وفق منطقهم . وأما قريش فانهم ينطقون فيه بالألف ، و كتابتهم له بالواو على منطق غيرهم و تقليد لهم ، حتى قال القاضى ابو بكر الباقلانى : كل من أدعى يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه ، فانه ليس فى الكتاب و لا فى السنة و لا فى الاجماع ما يدل على ذلك ؟

فقال ما للصحابة و لا لغيرهم فى رسم القرآن و لا شعرة واحـــدة و إنمـا هو توقيف من النبي و هو الذى امرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف و نقصانها ؛ لأسرار لاتهتـــدى اليها العقول ، و هو سر من الاسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية . وكما أن نظم القرآن معجز ، فرسمه أيضا معجز . وكيف تهتـــدى العقول الى سر زيادة الألف فى [مائة] دون [فئـة] و إلى سر زيادة الياء فى بأييد ، و بأييكم ؟ أم كيف تتوصل الى سر زيادة الألف فى [سعوا] بالحج ونقصانها من سعوا فى سبا ؟ و الى سر زيادتها فى [آمنوا] و اسقاطها من [باؤ] ، [جاؤ] ، (تبوؤ) ، (فاؤ) بالبقرة ؟ و الى سر زيادتها فى (يعفوا الذى) و نقصانها من (يعفـــو عنهم) فى النساء ؟ أم كيف تبلغ العقول الى وجه حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض كحذف الألف من (قرءانا) بيوسف و الزخرف ، و اثباتها فى سائر المواضع ؟ .

و اثبات الألف بعد واو (سموات) فى فصلت و حذفها من غيرها . و اثبات الألف فى (الميعاد) ، (مطلقا) ، و حـــذفها من الموضع الذى فى الانفال ، و اثبات الالف فى سراجا حيثما وقع ، وحذفها من موضع الفرقان ؟ وكيف تتوصل الى فتح بعض التاءات وربطها فى بعض ؟ فكل ذلك لأسرار الهيـة ، وأغراض نبوية ، و انما خفيت على الناس لأسرار باطنية لا تدرك الا بالفتح الربانى ، فهى بمنزلة الألفاظ و الحروف المقطعـــة التى فى أوائل

السور ، فان لها أسرارا عظيمة ، و معانى كثيرة : و أكثر الناس لا يهتدون الى أسرارها ، ولا يدركون شيئا من المعانى الالهية التى أشير اليها : فكذلك أمر الرسم الذى فى القرآن حرفا بحرف .

وأما قول من قال : ان الصحابة اصطلحوا على أمر الرسم المذكور ، فلا يخفى ما فى كلامه من البطلان ، لأن القرآن كتب فى زمان النبى صلى الله عليه و سلم وبين يديه ، وحينئذ فلا يخلو ما اصطلح عليه الصحابة ، اما أن يكون هو عين الهيئة أو غيره فان كان عينها بطل الاصطلاح ، لأن أسبقية النبى صلى الله عليه و سلم تنافى ذلك و توجب الاتباع . و ان كان غير ذلك فكيف يكون النبى صلى الله عليه وسلم كتب على هيئة كهيئة الرسم القياسى مثلا ، والصحابة خالفوا وكتبوا على هيئة أخرى ؟ اذن فلا يصح ذلك من وجهين :

أحدهما : نسبة الصحابة الى المخالفة ، و ذلك محال .

ثانيهما : أن سائر الامة من الصحابة و غيرهم أجمعوا على أنه لا يجوز زيادة حرف فى القرآن و لا نقصان حرف منه . وما بين الدفتين كلام الله عز وجل ، فاذا كان النبى صلى الله عليه و سلم أثبت ألف الرحمن و العالمين مثلا ، و لم يزد الألف فى [مائة] و لا فى [ولأوضعوا] و لا الياء فى [بأيد] و نحو ذلك ، و الصحابة عاكسوه فى ذلك و خالفوه ، لزم أنهم ـ و حاشاهم من ذلك ـ تصرفوا فى القرآن بالزيادة و النقصان ، و وقعوا فيما أجمعوا هم و غيرهم على ما لا يحل لأحد فعله ، و لزم تطرق الشك الى جميع ما بين الدفتين .

ثم قال ابن المبارك بعد كلام ، فقلت له : فان كان الرسم توقيفا يوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فانه كألفاظ القرآن فلم لم ينقل تواترا حتى ترتفع عنه الريبة وتطمئن به القلوب كألفاظ القرآن ؟ فانه ما من حرف الا وقد نقل تواترا لم يقع فيه خلاف و لا إضطراب وأما الرسم فانه إنما نقل بالآحاد ، كما يعلم من الكتب الموضوعة فيه ، و ما نقل بالآحاد وقع الاضطراب بين النقلة فى كثير منه وكيف تضيع الامة شيئا من الوحى ؟ فقال : [ما ضيعت الأمة شيئا من الوحى] .

و القرآن بحمد الله محفوظ ألفاظا و رسما : فأهل العرفان و الشهود و العيان ، حفظوا ألفاظه و رسمه ، و لم يضيعوا منها شعرة واحدة ، و أدركوا ذلك بالشهود و العيان الذى هو فوق التواتر . و غيرهم حفظوا ألفاظه الواصلة اليهم بالتواتر . واختلافهم فى بعض حروف الرسم لا يقدح ولا يصير لامة مضيعة كما لا يضر جهل العامة بالقرآن و عدم حفظهم لألفاظه ا ه .

الرأى الثالث :

يميل صاحب التبيان و من قبله صاحب البرهان الى ما يفهم من كلام العز بن عبد السلام ، من أنه يجوز بل يجب كتابة المصحف الآن لعامة الناس على الاصطلاحات المعروفة الشائعة عندهم ولا تجوز كتابته لهم بالرسم العثمانى الأول ، لئلا يوقع فى تغيير من الجهال ولكن يجب فى الوقت نفسه المحافظة على الرسم العثمانى ، كأثر من الآثار النفيسة الموروثة عن سلفنا الصالح ، فلا يهمل مراعاة لجهل الجاهلين بل يبقى فى أيدى العارفين الذين لا تخلو

منهم الأرض و ماك عبارة التبيان فى هـــذا المقام إذ يقول ما نصه :

وأما كتابته [اى المصحف] على ما أحدث الناس من الهجاء فقد جرى عليه أهل المشرق ، بناء على كونها أبعد عن اللبس ، وتحاشاه أهل المغرب بنـاء على قول الامام مالك و قـــد سئل . هل يكتب المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء ؟ فقال [لا] الا على الكتبة الاولى .

قال فى البرهان : قلت : وهذا كان فى الصدر الأول ، والعلم حى غض . وأما الآن فقد يخشى الالتباس ، ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام :

لا تجوز كتـابة المصحف الآن على الرسم الأول باصطلاح الأئمة لئلا يوقع فى تغيير من الجهال . و لـكن لا ينبغى اجراء هذا على اطلاقه ، لئلا يودى الى دروس العلم . و شيء قد أحكمته الصحابة لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين . [ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجة] ا هـ .

أقول هذا الرأى يقوم على رعاية الاحتياط للقرآن من ناحيتين : ـ ناحية كتابتـــه فى كل عصر بالرسم المعروف فيه ، ابعادا للناس عن اللبس و الخلط فى القرآن الـكريم ، و ناحيـــة ابقاء رسمه الأول المأثور ، يقرؤه العارفون و من لا يخشى عليهم الالتباس . ولا شك أن الاحتياط مطلوب دينى جليل خصوصا فى جانب حماية التنزيل .

مزايا الرسم العثمانى

ذكر العلماء فى هذا الرسم العثمانى مزايا وفوائد عديدة نورد أهمها فيما يلى : -

الفائدة الأولى

الدلالة فى القراءات المتنوعة فى الكلمة الواحدة بقدر الامكان ، و ذلك أن قاعدة الرسم لوحظ فيها أن الكلمة إذا كان فيها قراءتان أو أكثر ، كتبت بصورة تحتمل هاتين القراءتين أو الأكثر . فان كان الحرف الواحد لا يحتمل ذلك بان كانت صورة الحرف تختلف باختلاف القراءات جاء الرسم على الحرف الذى هو خلاف الأصل . و ذلك ليعلم جواز القراءة به وبالحرف الذى هو الاصل . وإذا لم يكن فى الكلمة الا قراءة واحدة بحرف الاصل ، و ذلك ليعلم جواز القراءة به و بالحرف الذى هو الأصل . و إذا لم يكن فى الكلمة إلا قراءة واحدة بحرف الاصل رسمت به مثال الكلمة تكتب بصورة واحدة و تقرأ بوجوه متعددة قوله تعالى [إن هذان لساحران] رسمت فى المصحف العثمانى هكذا [ان هذان لساحران] من غير نقط و لا شكل و لا تشديد و لا تخفيف فى نونى ان وهذان ، و من غير ألف و لا ياء بعد الذال من [هذان] .

وجيء الرسم كما ترى ، كان صالحا عندهم لأن يقرأ بالوجوه الأربعة التى وردت كلها بأسانيد صحيحة .

[أولها] قراءة نافع و ابن عامر و شعبة و الآخرين . بتشديد نون [ان] وفتحها ، [هذان] بالألف مع تخفيف النون .

[ثانيهـا] : قراءة ابن كثير باسكان نون [إن] ، [هذان] بالالف مع تشديد النون والمد المشبع للساكنين وصلا ووقفا .

[ثالثها] : رواية حفص باسكان نون [إن] ، [و هذان] بالألف مع تخفيف النون .

[رابعها] : قراءة أبي عمرو بتشديد نون [إن] وفتحها ، [هذان] بالياء مع تخفيف النون .

فتدبر هذه الطريقة المثلى الضابطة لوجوه القراءة لتعلم أن سلفنا الصالح كان فى قواعد رسمه للصحف أبعد منا نظرا وأهدى سبيلا .

الفـائدة الثانيــة :

افادة المعانى المختلفة بطريقة تكاد تكون ظاهرة و ذلك نحو قطع كلمة [أم] فى قوله تعالى :[أم من يكون عليهم وكيلا] و وصلها فى قوله تعالى : [أمن يمشى سويا على صراط مستقيم] إذ كتبت هكذا [أمن] بادغام الميم الأولى فى الثانيــة وكتابتها ميما واحدة مشددة فقطع أم الاولى فى الكتابة للدلالة على أنها أم المنقطعة التى بمعنى بل . و وصل أم الثانية للدلالة على أنها ليست كتلك .

الفـائدة الثالثـــة :

الدلالة على معنى خفى دقيق كزيادة اليـاء فى كتابة [أيد] من قوله تعالى [والسماء بنيناها بأيد] إذ كتبت هكذا [بأييد] و ذلك للايماء إلى تعظيم قوة الله التى بنى بها السماء و أنها لا تشبههـا قوة على حد القاعدة المشهورة وهى : زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

الفـائدة الرابعـــة :

الدلالة على أصل الحركة مثل كتـابة الكسرة ياء فى قوله تعالى : [و إيتاء ذى القربى] إذ تكتب هذا [و إيتائ ذى القربى] و مثل كتابة الضمة واوا فى قوله سبحانه : [سأريكم دار الفـاسقين] إذ كتبت هكذا [سأوريكم] و مثل ذلك الدلالة على أصل الحرف نحو الصـــلاة و الزكاة إذ كتبتا هكذا [الصلوٰة] [الزكوٰة] ليفهم أن الالف فيهما منقلبة عن واو .

الفـائدة الخـامسة :

إفادة بعض اللغات الفصيحـــة ، مثل كتابة هاء التانيث تاء مفتوحة دلالة على لغة طيء ، وقد تقدمت الأمثلة لهذا النوع . و مثل قوله تعالى : [يوم يأتى لا تكلم نفس الا باذنه] كتبت بحـذف الياء هكذا [يأت] للدلالة على لغة هذيل .

الفائدة السادسة :

حمل الناس على أن يتلقـــوا القرآن من صدور ثقات الرجال

و لا يتكلوا على هذا الرسم العثمانى الذى جاء غير مطابق للنطق الصحيح فى الجملة :

و إنى و إن كنت قد أطنبت فى باب [مرسوم الخط] فمعذرة لأن كلام العلماء فيه طويل و شائك : و ما حملنى على الاطالة فيه إلا أنى أردت أن أخلص الورد من الشوك .

هذا و الله أعلى و أعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

(التفسير و التأويل)

التفسير فى اللغة :

تفعيل من الفسر و هو البيان و الكشف و يقال هو مقلوب السفر تقول أسفر الصبح : إذا اضاء و قيل ماخوذ من التفسرة و هى اسم لما يعرف به الطبيب المرض .

و التفسير فى الاصطلاح :

عرفه أبو حيان بأنه : [علم يبحث عن كيفية النطق بالفاظ القرآن ، و مدلولاتها ، و احكامها الافرادية و التركيبية و معانيها التى تحمل عليها حالة التركيب و تمات لذلك .

و قال الزركشى : التفسير : علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم ، و بيان معانيه و استخراج أحكامه و حكمه .

والتأويل فى اللغة :

أصله من الاول ، و هو الرجوع الى الاصل ، فكانه صرف الآية الى ما تحتمله من المعانى و قيل من الايالة و هى السياسة ، كان المؤول للكلام ساس الكلام و وضع المعنى فيه موضعه .

و التاويل فى عرف المتاخرين :

هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترن به - و هذا الاصطلاح لا يتفق مع ما يراد بلفظ التاويل فى القرآن عنـــد السلف .

(الفرق بين التفسير والتأويل)

اختلف العلماء فى الفرق بين التفسير والتاويل على أقوال عديدة نورد أهمها فيما يلى :

١ - قيل :

إنهما بمعنى واحد ، و منه دعوة النبي صلى الله عليه و سلم لابن عباس [اللهم فقهه فى الدين و علمه التأويل] .

٢ - و قال الراغب :

التفسير أعم من التاويل ؛ و أكثر استعماله فى الألفاظ و مفرداتها ، و أكثر استعمال التاويل فى المعانى و الجمـل ، و أكثر ما يستعمل فى الـكتب الالهية ، وتاويل الرؤيا ، والتفسير يستعمل فيها و فى غيرها .

٣ - و قال غيره :

التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا ، والتاويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة الى واحد منها بما ظهر من الأدلة .

٤ ـ وقال الماتريدى :

التفسير : القطع على أن المراد من اللفظ هذا ، و الشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا . فان قام دليل مقطوع به فصحيح ، والا فتفسير بالرأى وهو المنهى عنه .

و التاويل : ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع و الشهادة على الله .

٥ ـ وقال أبو طالب الثعلبى :

التفسير : بيان وضع اللفظ ، اما حقيقة أو مجازا كتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر .

والتاويل : تفسير باطن اللفظ ماخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الامر . فالتاويل اخبار عن حقيقة المراد ، والتفسير اخبار عن دليل المراد لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل ، مثاله قوله تعالى ـ [إن ربك لبالمرصاد] تفسيره : أنه من الرصد ، يقال رصدته : رقبته ، والمرصاد مفعال منه . و تاويله التحذير من التهاون بامر الله و الغفلة عن الأهبة و الاستعداد للعرض عليه . وقواطع الادلة تقتضى بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ فى اللغة .

٦ ـ وقال الأصبهانى فى تفسيره :

اعلم ان التفسير فى عرف العلماء كشف معانى القرآن ، و بيان المراد

أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل و غيره بحسب المعنى الظاهر و غيره و التاويل أكثره فى الجمل . و التفسير اما ان يستعمل فى غريب الالفاظ نحو البحيرة و السائبة و الوصيلة ، أو فى وجيز تبيين لشرح نحو ـ أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة ، و اما فى كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره الا بمعرفتها كقوله [انما النسيء زيادة فى الكفر] و قوله [و ليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها] . و أما التاويل فانه يستعمل مرة عاما و مرة خاصا نحو الكفر المستعمل تارة فى الجحود المطلق و تارة فى جحود البارى عز وجل خاصة . و الايمان المستعمل فى التصديق المطلق تارة و فى تصديق الحق أخرى و اما فى لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ وجد المستعمل فى الجدة والوجد و الوجود .

٧ ـ و قيل :

التاويل كشف ما انغلق من المعنى ، ولهذا قال البجلى : التفسير يتعلق بالرواية ، والتأويل يتعلق بالدراية ، و هما راجعان الى التلاوة والنظم المعجز الدال على الكلام القديم القائم بذات الرب تعالى .

٨ ـ و قال أبو نصر القشيرى :

التفسير مقصور على الاتباع والسماع والاستنباط مما يتعلق بالتاويل .

٩ ـ و قال قوم :

ما وقع مبينا فى كتاب الله و معينا فى صحيح السنة سمى تفسيرا لأن

معناه قد ظهر و وضح ، وليس لاحـد أن يتعرض اليه باجتهاد و لا غيره ، بل يحمله على المعنى الذى ورد لا يتعداه . و التاويل : ما استنبطه العلماء العالمون لمعانى الخطاب الماهرون فى آلات العلوم .

١٠ - و قال قوم منهم البغوى والكواشى :

التاويل صرف الآية الى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية ، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط .

١١ - و قال بعضهم :

التفسير فى الاصطلاح علم نزول الآيات و شؤونها و أقاصيصها و الاسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها و منسوخها و خاصها و عامها و مطلقها و مقيدها و مجملها و مفسرها و حلالها و حرامها و وعدها و وعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها .

١٢ - و قال ابو حيان :

التفسير : علم يبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ القرآن و مدلولاتها و أحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك مثل معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ما أبهم فى القرآن ونحو ذلك .

١٣ - و قال الزركشى :

التفسير : علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم و بيان معانيه و استخراج أحكامه و حكمه واستمداد ذلك من علم اللغة

و النحو و التصريف و علم البيان و أصول الفقـــه و القراءات و يحتاج لمعرفة أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ . قال الامام أبو القاسم محمد بن حبيب النيسابورى رحمه الله : و قـد نبغ فى زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير و التاويل ما اهتدوا إليه لا يحسنون القرآن تلاوة و لا يعرفون معنى السورة أو الآية ما عندهم الا التشنيع عند العوام لنيل ما عندهم من الحطام ، أعفوا أنفسهم من الكد والطلب ، وقلوبهم من الفكر والتعب ، اذا سئلوا غضبوا و اذا نفروا هربوا ، القيعة رأس مالهم ، و الخرق [الحمق] والطيش خير خصالهم ، يتحلون بما ليس فيهم ، ويتنافسون فيما يرذلهم ، الصيانة عنهم بمعزل ، وهم من الخنى و الجهل فى جوف منزل . وقد قال صلى الله عليـــه و سلم : [المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور] . وقد قيل : من تحلى بغير ما هو فيـــه فضحته شواهد الامتحان ، وجرى فى السباق جرية كميت نفته الجياد عند الرهان .

قال حكى عن بعضهم أنه سئل عن [الحاقة] فقال : الحاقة : جماعة من الناس اذا صاروا فى المجلس قالوا : كنـا فى الحاقة : و قال آخر : فى قوله تعـالى : [يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى[1]] قال : أمر الأرض باخراج الماء ، والسماء بصب الماء وكأنه على القلب . و عن بعضهم فى قوله تعالى : [و اذا الموؤدة سئلت[2]] قال : إن الله ليسألكم عن الموؤدات فيما بينكم

(١) سورة هود رقم : ٤٤

(٢) سورة التكوير رقم : ٨

فى الحياة الدنيا . وقال آخر فى قوله تعالى : [فليتنافس المتنافسون[1]] قال : إنهم تعبوا فى الدنيا ، فاذا ادخلوا الجنة تنعموا .

قال أبو القاسم : سمعت أبي يقول : سمعت على بن محمد الوراق يقول : سمعت يحي بن معاذ الرازى يقول : أفواه الرجال حوانيتها وأسنانها صنائعها ، فاذا فتح الرجل باب حانوته تبين العطار من البيطار ، والتمار من الزمار ، و الله المستعان على سوء الزمان وقلة الأعوان .

وأما وجه الحاجة اليه : ان القرآن انما نزل بلسان عربي فى زمن أفصح العرب ، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه أما دقائق باطنه فانما كان يظهرلهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم فى الأكثر كسؤالهم لما نزل قوله : [و لم يلبسوا إيمانهم بظلم] فقالوا : وأينا لم يظلم نفسه ، ففسره النبي صلى الله عليه و سلم بالشرك ، واستدل عليه بقوله تعالى [ان الشرك لظلم عظيم] . وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير فقال : ذلك العرض . وكقصة عدى بن حاتم فى الخيط الابيض و الأسود وغير ذلك مما سألوا عن آحاد منه ، ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه و زيادة على ذلك مما لم يحتاجوا اليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم ، فنحن أشد الناس احتياجا الى التفسير . و معلوم ان تفسير بعضه يكون من قبل الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها وبعضه من قبل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض . ا ه

(١) سورة المطففين رقم : ٢٦

و قال الخويي : علم التفسير عسر يسير ، أما عسره فظاهر من وجوه أظهرها أنه كلام متكلم لم تصل النــاس الى مراده بالسماع منه و لا امكان الوصول اليـه ، بخلاف الأمثال و الأشعار و نحوها فان الانسان يمكن علمه منـه إذا تكلم بان يسمع منه أو من سمع منه . و أما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم الا بان يسمع من الرسول صلى الله عليــه و سلم و ذلك متعذر إلا فى آيات قلائل . فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل و الحكمة فيه أن الله تعالى اراد أن يتفكر عباده فى كتابه فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد فى جميع آياته . و أما شرفه فلا يخفى ، قال تعـالى : [يؤتى الحكمة من يشاء و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا] .

و أخرج ابن أبى حاتم وغيره من طريق ابن أبى طلحــة عن ابن عباس فى قوله تعالى : يؤتى الحكمة ـ قال : المعرفة بالقرآن وناسخه ومنسوخه ، و محكمه و متشابهه ، و مقدمه و مؤخره ، وحلاله و حرامه ، و أمثاله .

و أخرج ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا ـ يؤتى الحكمة ـ قال : القرآن . قال ابن عباس : يعنى تفسيره . وأخرج البيهقى وغيره من حديث أبى هريرة مرفوعا [أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه] الى غير ذلك من الأحاديث الواردة فى شرف ـ تفسير القرآن .

وقد أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفايات وأجل العلوم الثلاثة الشرعية .

و قال الاصبهانى : أشرف صناعة يتعاطاها الانسان تفسير القرآن .

بيان ذلك أن شرف الصناعة : اما بشرف موضوعها مثل الصياغة فانها أشرف من الدباغة لأن موضوع الصياغة الذهب و الفضة وهما أشرف من موضوع الدباغة ، الذى هو جلد الميتة . و اما بشرف غرضهـا مثل صناعة الطب ، فانها أشرف من صناعة الكناسة لأن غرض الطب إفادة الصحـة وغرض الكناسة تنظيف المستراح . و إما بشدة الحاجة اليها كالفقـــه ، فان الحاجة إليه أشـد من الحاجة إلى الطب . إذ ما من واقعة فى الكون فى أحد من الخلق الا وهى مفتقرة الى الفقه ، لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين ، بخلاف الطب فانه يحتاج اليه بعض النـاس فى بعض الاوقات . اذا عرف ذلك فصناعة التفسير . قد حازت الشرف من الجهات الثلاث .

أما من جهـة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعـالى الذى هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة ، فيه نبأ ما قبلكم و خبر ما بعدكم و حكم ما بينكم ، لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه .

و أما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصـام بالعروة الوثقى و الوصول الى السعادة الحقيقية التى لا تفنى .

و أما من جهة شدة الحاجة إليه فلأن كل كمال دينى أو دنيوى عاجلى أو آجلى مفتقر إلى العلوم الشرعية و المعارف الدينية و هى متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

(شروط المفسر و آدابه)

قال العلماء :

من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه اولا من القرآن فما أجمل منه فى مكان فقد فسر فى موضع آخر ، و ما أختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر منه . وقد ألف ابن الجوزى كتابا فيما أجمل فى القرآن فى موضع وفسر فى موضع آخر معه . فان أعياه ذلك طلبه من السنة فانها شارحة للقرآن وموضحة له .

وقد قال الشافعى رضى الله عنه : كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه و سلم فهو مما فهمه من القرآن . قال تعالى : [انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله[1]] .

و قال صلى الله عليه وسلم : [ألا انى أوتيت القرآن ومثله معه] يعنى السنة . فان لم يجده فى السنة رجع الى أقوال الصحابة فانهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن و الأحوال عند نزول القرآن ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ؛ وقد روى الحاكم فى المستدرك :

(١) سورة النساء رقم : ١٠٥

أن تفسير الصحابي الذى شهد الوحى و التنزل له حكم المرفوع . وقد ذكر العلماء فى المفسر شروطا عديدة نورد أهمها فيما يأتى :

١ ـ صحة الاعتقاد :

فان العقيدة لها أثرها فى نفس صاحبها وكثيرا ما تحمل ذويها على تحريف النصوص والخيانة فى نقل الأخبار فاذا صنف أحدهم كتابا فى التفسير أول الآيات التى تخالف عقيدته و حملها باطل مذهبه ، ليصد الناس عن اتباع السلف ، ولزوم طريقة الهدى .

٢ ـ اعتماده على النقل عن النبي صلى الله عليه و سلم و عن أصحابه و من عاصرهم ويتجنب المحدثات ، و إذا تعارضت أقوالهم و امكن الجمع بينها فعل و ان تعارضت رد الأمر الى ما ثبت فيه السمع ، فان لم يجد سمعا وكان للاستدلال طريق إلى تقوية أحدهما رجح ما قوى الاستدلال فيه كاختلافهم فى معنى [حروف الهجاء] يرجح قول من قال إنها قسم و إن تعارضت الأدلة فى المراد علم أنه قد اشتبه عليه فيؤمن بمراد الله تعالى و لا يتهجم على تعيينه و ينزله منزلة المجمل قبل تفصيله والمتشابه قبل تبيينه .

٣ ـ صحة المقصد :

فيما يقول ليلقى التسديد ، فقد قال تعالى : [و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا] و انما يخلص له القصد اذا زهد فى الدنيا لأنه اذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به الى غرض يصده عن صواب و يفسد عليه صحة عمله .

٤ ـ الالمام باللغة العربية و فروعها :

فان القرآن نزل بلسان عربي مبين و يتوقف فهمه على شرح مفردات الألفاظ و مدلولاتها بحسب الوضع ، قال مجاهد : [ولا يحل لأحد يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب] و المعانى تختلف باختلاف وجوه الاعراب .

و قال ابن تيمية فى كتاب ألفه فى هذا النوع : يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه و سلم بين لأصحابه معانى القرآن كما بين لهم ألفاظه . قال تعالى : [لتبين للناس ما نزل اليهم] يتناول هذا و هذا .

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمى : حدثنا الذين كانوا يقرؤن القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم و العمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن و العلم و العمل جميعا .

وقد نقل السيوطى عن الزركشى [فى البرهان] خلاصة الشروط التى لابد منها لاباحة التفسير بالرأى ، فرآها تندرج تحت أربعة :

الأول : النقل عن رسول الله صلى الله عليه و سلم مع التحرز عن الضعيف و الموضوع .

الثانى : الأخذ بقول الصحابى ، فقد قيل : انه فى حكم المرفوع مطلقا وخصه بعضهم بأسباب النزول و نحوها مما لا مجال للرأى فيه .

الثالث : الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات الى ما لا يدل

عليه الكثير من كلام العرب .

الرابع : الأخذ بما يقتضيه الكلام ؛ ويدل عليه قانون الشرع و هذا النوع الرابع هو الذى دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فى قوله : [اللهم فقهه فى الدين وعلمه التاويل] .

٥ ـ التجرد عن الهوى :

فالأهواء تدفع أصحابها الى نصرة مذهبهم ، فيغرون الناس بلين الكلام ولحن البيان .

٦ ـ العلم باصول العلوم المتصلة بالقرآن :

كعلم القراءات لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن و ترجيح بعض وجوه الاحتمال على بعض ، وعلم التوحيد حتى لا يؤول آيات الكتاب التى فى حق الله وصفاته تاويلا يتجاوز به الحق ـ وعلم الاصول ، وأصول التفسير خاصة مع التعمق فى أبوابه التى لا يتضح المعنى و لا يستقيم المراد بدونها ، كمعرفة أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ونحو ذلك .

٧ ـ دقة الفهم :

التى تمكن المفسر من ترجيح معنى على آخر ، أو استنباط معنى يتفق مع نصوص الشريعة .

و اما العلوم التى يحتاج اليها المفسر فهى خمسة عشر علما اليك بيانها :

أحدها : اللغة لأن بهـا يعرف شرح مفردات الألفاظ و مدلولاتها بحسب الوضع . قال مجاهد : لايحل لأحد يؤمن بالله و اليوم الآخر

ان يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب .

الثانى : النحو ، لأن المعنى يتغير و يختلف باختلاف الاعراب فلابد من اعتباره .

الثالث : التصريف لأن به تعرف الابنية والصيغ .

الرابع : الاشتقاق لأن الاسم اذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما كالمسيح هل هو من السياحة اوالمسح .

الخامس و السادس و السابع : المعانى و البيان و البديع لأنه يعرف بالاول خواص تراكيب الكلام من جهة افادتها المعنى ، و بالثانى خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة و خفائها و بالثالث وجوه تحسين الكلام وهذه العلوم الثلاثة هى علوم البلاغة ، وهى من أعظم اركان المفسر .

الثامن : علم القراءات لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن ، و بالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض .

التاسع : أصول الدين بما فى القرآن من الآية بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى .

العاشر : أصول الفقه إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط .

الحادى عشر : اسباب النزول و القصص ، إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه .

الثانى عشر : الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره .

الثالث عشر : الفقه .

الرابع عشر : احاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم .

الخامس عشر : علم الموهبة و هو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ، واليه الاشارة بحديث [من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم] .

[آداب المفسر]

ذكر العلماء فى المفسر آدابا عديدة تجمل أهمها فيما يلى :

١ ـ حسن النية و صحة القصد :

فانما الأعمال بالنيات ، و العلوم الشرعية أولى بأن يكون هدف صاحبها منها الخير العام ، و اسداء المعروف لصالح الاسلام و ان يتطهر من أعراض الدنيا ليسدد الله خطاه ، والانتفاع بالعلم ثمرة الاخلاص فيه .

٢ ـ حسن الخلق :

فالمفسر فى موقف المؤدب ، ولا تبلغ الآداب مبلغها فى النفس الا اذا كان المؤدب مثالا يحتذى فى الخلق و الفضيلة .

٣ ـ الامتثال و العمل :

فان العلم يجد قبولا من العالمين أضعاف ما يجد من سمو معارفه و دقة مباحثه ـ و حسن السيرة يجعل المفسر قدوة حسنة لما يقرره من مسائل الدين ، و كثيرا ما يصد الناس عن تلقى العلم من بحر زاخر فى المعرفة لسوء سلوكه و عدم تطبيقه .

٤ ـ تحرى الصدق و الضبط فى النقل :

فلا يتكلم أو يكتب الا من تثبت لما يرويه حتى يكون فى مأمن من التصحيف و اللحن .

٥ ـ التواضع و لين الجانب :

٦ ـ عزة النفس :

فمن حق العالم أن يترفع عن سفاسف الامور .

٧ ـ الجهر بالحق :

فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر .

٨ ـ حسن السمت :

الذى يكسب المفسر هيبة و وقارا فى مظهره العام و جلوسه و وقوفه و مشيته دون تكلف .

٩ ـ الأناة و الروية :

فلا يسرد الكلام سردا بل يفصله و يبين عن مخارج حروفه .

١٠ ـ تقديم من هو أولى منه ـ فلا يتصدى للتفسير بحضرتهم و هم أحياء و لا يغمطهم حقهم بعد الممات بل يرشد إلى الأخذ عنهم و قراءة كتبهم .

١١ ـ حسن الاعداد وطريقة الأداء :

كأن يبدأ بذكر سبب النزول ثم معانى المفردات و شرح التراكيب و بيان وجوه البلاغة و الاعراب الذى يتوقف عليه تحديد المعنى ، ثم يبين

المعنى العام ويصله بالحياة العامة التى يعيشها الناس فى عصره ، ثم يأتى الى الاستنباط و الاحكام .

أما ذكر المناسبـــة و الربط بين الآيات أولا و آخرا فذلك حسب ما يقتضيه النظم و السياق .

بسم الله الرحمن الرحيم

(نشأة علم التفسير)

مما لا ريب فيه أن التفسير مر بأطوار كثيرة حتى اتخذ هذه الصورة التي تجده عليها الآن في بطون المؤلفات والتصانيف ، بين مطبوع ومخطوط ولقد نشأ التفسير مبكرا في عصر النبي صلى الله عليه و سلم الذي كان أول شارح لكتاب الله ، يبين للناس ما نزل على قلبه ، أما صحابته الكرام فما كانوا يجرؤن على تفسير القرآن وهو عليه السلام بين أظهرهم ، يتحمل هذا العبء العظيم ، ويؤديه حق الاداء ، حتى إذا لحق عليه السلام بالرفيق الاعلى لم يكن بد للصحابة العلماء بكتاب الله ، الواقفين على أسراره ، المهتدين بهدى النبي صلى الله عليه وسلم ، من أن يقوموا بقسطهم في بيان ما علموه وتوضيح ما فهموه ، والمفسرون من الصحابة كثيرون الا أن مشاهيرهم عشرة : [الخلفاء الاربعة ، و ابن مسعود ، و ابن عباس ، وأبي بن كعب ، و زيد بن ثابت ، و أبو موسى الاشعري ، و عبد الله بن الزبير .

أما الخلفاء فاكثر من روى عنه منهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . و الرواية عن الثلاثة نزرة جدا ، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم . و أجدر هولاء العشرة بلقب المفسر هو عبد الله بن عباس

الذى شهد له رسول الله صلى الله عليه و سلم بالعلم ، ودعا له بقوله : [اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل] و سماه ترجمان القرآن .

[التفسير فى عهد النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه]

كان الصحابة رضوان الله عليهم يعتمدون فى تفسيرهم للقرآن فى هذا العصر على ما يأتى : اولا : القرآن الكريم :

فما جاء مجملا فى موضع جاء مبينا فى موضع آخر ، تأتى الآية مطلقة أو عامة ، ثم ينزل ما يقيدها أو يخصصها ، و هو الذى يسمى : بتفسير القرآن بالقرآن و لهـــذا أمثلة كثيرة فقصص القرآن جاء موجزا فى بعض المواضع و مسهبا فى مواضع أخرى .

و قوله تعالى : [أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم[1]] فسره آية [حرمت عليكم الميتة[2]] و قوله تعالى : [لا تدركه الابصار[3]] فسره آية [الى ربها ناظرة[4]]

ثانيا : النبي صلى الله عليه و سلم :

فهو المبين للقرآن ، وكان الصحابة يرجعون اليه اذا أشكل عليهم فهم آية من الآيات. عن ابن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية [الذين آمنوا

---

(١) سورة المائدة رقم : ١

(٢) سورة المائدة رقم : ٣

(٣) سورة الانعام رقم : ١٠٣

(٤) سورة القيامة رقم : ٢٣

و لم يلبسوا ايمانهم بظلم[1]] شق ذلك على الناس فقالوا : يا رسول الله و أينا لا يظلم نفسه ؟ قال : انه ليس الذى تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح [إن الشرك لظلم عظيم[2]] كما كان الرسول صلى الله عليه و سلم يبين لهم ما يشاء عند الحاجة . عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول وهو على المنبر [و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة[3]] الا و ان القوة الرمى .

و عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [الكوثر نهر أعطانيه ربى فى الجنة] وقد أفردت كتب السنة بابا للتفسير بالمأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الله تعالى : [و ما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون[4]] و من القرآن ما لا يعلم تاويله الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم كتفصيل وجوه أمره ونهيه ، ومقادير ما فرضه الله من الأحكام ، و هذا البيان هو المقصود بقوله صلى الله عليه و سلم [ألا و إنى أوتيت الكتاب ومثله معه] .

ثالثا : الفهم و الاجتهاد : فكان الصحابة إذا لم يجدوا التفسير فى كتاب الله تعالى و لم يجدوا شيئا فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سورة الانعام رقم : ٨٢

(٢) سورة لقمان رقم : ١٣

(٣) سورة الانفال رقم : ٦٠

(٤) سورة النحل رقم : ٦٤

وسلم اجتهدوا فى الفهم ، فانهم من صميم العرب بل من أخلصهم وأصرحهم ، يعرفون العربية ، ويحسنون فهمها ، ويعرفون وجوه البلاغة فيها . ولا شك ان التفسير بالمأثور عن الصحابة له قيمته . وذهب جمهور العلماء الى أن تفسير الصحابي له حكم المرفوع اذا كان مما يرجع الى أسباب النزول وكل ما ليس للرأى فيه مجال .

أما ما يكون للرأى فيه مجال فهو موقوف عليه ما دام لم يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم .

و الموقوف على الصحابي من التفسير يوجب بعض العلماء الأخذ به لأنهم أهل اللسان ، ولما شاهدوه من القرائن و الاحوال التى اختصوا بها ولما لهم من الفهم الصحيح .

قال الزركشى فى البرهان : [اعلم أن القول قسمان : قسم ورد تفسيره بالنقل ، وقسم لم يرد . و الاول اما ان يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو أكابر التابعين ـ فالاول يبحث فيه عن صحة السند والثانى ينظر فى تفسير الصحابي ، فان فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك فى اعتماده . أو بما شاهدوه من الأسباب والقرائن فلا شك فيه] .

(التفسير فى عصر التابعين)

وتلقى أقوال الصحابة نفر من كرام التابعين فى الامصار الاسلامية

المختلفة فنشأت فى مكة طبقة للفسرين ، و فى المدينة طبقة ثانية ، و فى العراق ثالثة ، قال ابن تيمية : [أعلم الناس بالتفسير أهل مكة . لانهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس ، وسعيد بن جبير وطاوس وغيرهم ، وكذلك فى الكوفة أصحاب ابن مسعود وعلماء أهل المدينة فى التفسير مثل زيد بن أسلم الذى أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد ومالك ابن أنس ، و عن التابعين أخذ تابعو التابعين ، فجمعوا أقوال من تقدمهم و صنفوا التفاسير ، كما فعل سفيان بن عيينة ؛ و وكيع بن الجراح ؛ و شعبة ابن الحجاج ؛ و يزيد بن هارون ؛ و عبد بن حميد . فكانوا بذلك ارهاصا لابن جرير الطبرى الذى يوشك المفسرون جميعا من بعده أن يكونوا عالة عليه .

و بعد ذلك اتجه العلماء فى تفاسيرهم اتجاهات متباينة ، فكان ما يسمى [بالتفسير بالمأثور] وهو امتداد للتفاسير السابقة المسندة إلى الصحابة والتابعين و تابعيهم ، و كان يسمى [بالتفسير بالرأى] و فيه تعددت المناهج و تضاربت الافكار لحمد بعضه وذم بعضه ، تبعا لقربه من هداية القرآن أو بعده عنها .

[ألف] ـ وأجل التفاسير بالماثور هو تفسير ابن جرير الطبرى ، ويسمى كتابه [جامع البيان] فى تفسير القرآن ، و من خصائصه أنه عرض فيه لاقوال الصحابة والتابعين مع تحرير أسانيدها ، و ترجيح بعضها عن بعض ، و استنباط الكثير من الاحكام و ذكر بعض وجوه الاعراب التى تزيد المعنى وضوحا غير انه اعتمادا منه على معرفة الناس حال الاسانيد كان احيانا يغفل

بعضها ويذكر منها غير الصحيح دون أن ينبه عليه .

و يقرب من تفسير الطبرى وربما يفوقه فى بعض الأمور تفسير ابن كثير [عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر القرشى الدمشقى] المتوفى ٧٧٤هـ ومن مزاياه الدقة فى الاسناد . وبساطة العبارة ، و وضوح الفكرة . وتبعا لهـــذا المنهج ألف السيوطى كتابه القيم [الدر المنثور فى التفسير بالمأثور] و قد اعتمد فيه ـ كما يفهم من عنوانه ـ على الأخبار الصحيحة المأثورة التى تجعله أقرب الى الفكرة الاسلامية منه الى الشروح الانسانية . لكن التفسير بالمأثور معرض غالبا للنقد الشديد ، لأن الصحيح من الروايات قد اختلط بغير الصحيح ، ولا تنسى ما لزنادقة اليهود و الفرس من نشاط لا يجهله أحد فى الدس على الاسلام وتشويه تعاليمـــه السمحاء ، و ما لاصحاب المذاهب والشيع من ولوع غريب بجمع معانى القرآن وتنزيلها وفق هواهم ، فكان على المفسر بالمأثور أن يدقق فى تعبيره ويحترس فى روايته و يحتاط كثيرا فى ذكر الأسانيد .

[ب] ـ أما التفسير بالرأى فقد اختلف العلماء فيه فمن محرم له ومن مجوز لكن اختلافهم يؤول فى النهاية الى أن المحرم منه هو الجزم بان مراد الله كذا من غير برهان أو محاولة تفسير الكتاب الكريم مع جهل المفسر بقواعد اللغة وأصول الشرع ، أو تأييد بعض الأهواء بآيات من القرآن زوراً و بهتاناً أما إذا كان الشروط المطلوبة متوافرة فى المفسر فلا مانع من محاولة [التفسير بالرأى] المحمود ، بل لعلنا لانبعد إن قلنا : إن القرآن نفسه يدعو

الى هذا الاجتهاد فى تدبر آياته و فقه تعاليمه .

قال تعالى : [افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها[1]]

و قال تعالى : [كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب[2]] .

و التفسير بالرأى الجائز حتى مع استيفائه جميع الشروط التى تجعله محمودا لا مسوغ له إذا عارضه التفسير بالماثور الذى ثبت لنا بالنص القطعى لأن الرأى اجتهاد ، و لا مجال للاجتهاد فى مورد النص ، أما إذا لم يكن تعارض بين التفسير بالرأى المحمود و التفسير بالماثور فكل منهما يؤيد الآخر ويثبته ، و ذلك أكثر ما نجده فى كتب التفسير كالأقوال الكثيرة فى تفسير قوله تعالى [فنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، و منهم سابق بالخيرات باذن الله[3]] فالسابق من رجحت حسناته و المقتصد من استوت حسناته و سيآته ، و الظالم المرتكب لبعض المحرمات على رأى ، و السابق المخلص ، و المقتصد المرائى ، والظالم كافر النعمة غير الجاحد لها على رأى ثان ، والسابق هو الذى تمحض للخير و المقتصد هو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا ، والظالم هو المرجأ إلى أمر الله عزوجل على رأى ثالث و هكذا وهى أقوال كما ترى ليس بينها تناف و لا تعارض .

---

(١) سورة محمد رقم : ٢٢

(٢) سورة ص رقم : ٢٩

(٣) سورة فاطر رقم : ٣٢

[ج] - وتفاسير الفرق الاسلامية المختلفة ترجع - فى الحقيقة - الى التفسير بالرأى ، غير أنها تدخل فى النوع المذموم منه ، لأن أصحابها لم يؤلفوها الا لتأييد أهوائهم ، أو الانتصار لمذاويقهم ومواجيدهم ، من ذلك تفسير المعتزلة و المتصوفة و الباطنية .

و يغلب على تفسير المعتزلة الطابع العقلى ، و المذهب الكلامى ، تبعا لقاعدتهم المشهورة [الحسن ما حسنه العقل ، والقبيح ما قبحه العقل] ولا ترد النصوص النبوية فيها إلا على أنها شىء ثانوى ، نادرا ما يلجؤن إليه لشرح معانى الآيات ، وخير من يمثل هذه النزعة العقلية فى التفسير الزمخشرى [محمد ابن عمر الملقب بجار الله المتوفى ٥٣٨ م] فى كتابه [الكشاف] الذى يمتاز بايراد النكات البلاغية و تحقيق بعض وجوه الاعجاز ، وهو إلى ذلك خال من الاسرائيليات التى تكثر فى بعض كتب التفسير بالمأثور و عبارته بليغة موجزة ليس فيها حشو وتطويل .

و إليك نموذجا من تفسيره : قال فى بيان قوله تعالى [ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوة[١]] فان قلت : لم أسند الختم إلى الله تعالى و اسناده إليه يدل على فعل القبيح ...... بدليل [و ما أنا بظلام للعبيد] [و ما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون] . [ان الله لا يأمر بالفحشاء] .

---

(١) سورة البقرة رقم : ٧

ثم أول اسناد الختم الى الله تعالى بان الكلام استعارة أو مجاز ، على معنى أن الشيطان هو الخاتم أو الكافر ، وأسند إلى الله تعالى لأنه هو الذى أقدره . ومكنه إلى غير ذلك من التفاسير المتصوفة و الاشارية [و هذا تفسير باطل] .

[د] - هذا واننا نضطر أحيانا للرجوع إلى نوع معين من التفاسير : فاذا كنا نبحث عن النكات البلاغية رجعنا إلى الزمخشرى و إذا التمسنا المباحث الكلامية رجعنا إلى الرازى ، و إذا اردنا اعراب القرآن فعلينا بالبحر المحيط لأبى حيان الاندلسى [المتوفى سنة ٧٤٥] ففيه كثير من المباحث النحوية ، و المسائل المتعلقة بالقراءات كما أنه لا يعنى بالنصوص النبوية الا قليلا ، فليس من باب التفسير بالمأثور .

[ه] - وقد ألفت فى القرن الأخير تفاسير لبعض العلماء المعاصرين فيها محاولات للتجديد ، و أقلها نصيبا من النجاح - بلا ريب - [الجواهر فى تفسير القرآن] للطنطاوى جوهرى . فان فى تفسيره كل شىء ما عدا التفسير .

أما تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا فانه نمط خاص فى تأويل كلام الله يرجع به مؤلفه غالبا الى آثار السلف محاولا التوفيق بينها و بين مقتضيات العصر الحاضر ، و يحالفه النجاح فى أكثر هذه المحاولات . الا أنه احيانا يستمسك ببعض الآراء الضعيفة و يدافع عنها بقوة و عناد و المنهج الذى يصدر عنه يدل - بوجهه عام - على تعمقه للاسلوب القرآنى ، و دراسته له

على أنه للهداية و الاعجاز ، و للشهيد سيد قطب فى تفسيره [ظلال القرآن] لمحات مرفقة فى فهم أسلوب القرآن فى التعبير و التصوير . إلا أن الغرض الأول منه تبسيط المبادىء القرآنيـــة للنشىء ، فهو إلى التوجيه أقرب منه إلى التعليم .

و التفسير بالمأثور إذا اجتمع إليـه حسن الاستنباط ، و سعة الثقافة و المقدرة على الترجيح هو أولى التفاسير بالاعتبار . و نحن مع ذلك لا ننصح بالاقتصار عليه . فلا بد لنا لتأويل الآية أو الآيات من الرجوع الى مختلف التفاسير ، ثم نحاول أن نختار لأنفسنا أصلح الآراء فيها ، إلى أن يثبت لنـا على وجـه القطع أثر صحيح فى الموضوع فناخذ به و نطرح ما عداه ، إذ لا مسوغ للاجتهاد فى مورد النص .

بسم الله الرحمن الرحيم

(التفسير بالمأثور)

التفسير بالمأثور : هو الذى يعتمد على صحيح المنقول بالمراتب التى ذكرت سابقا فى شروط المفسر ، من تفسير القرآن بالقرآن ، أو بالسنة لأنها جاءت مبينة لكتاب الله ، أو بما روى عن الصحابة لأنهم أعلم الناس بكتاب الله ، أو بما قاله كبار التابعين لأنهم تلقوا ذلك غالبا عن الصحابة . و هذا المسلك يتحرى الآثار الواردة فى معنى الآية فيذكرها و لا يجتهد فى بيان معنى من غير أصل ، و يتوقف عما لا طائل تحته و لا فائدة فى معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح .

قال ابن تيمية : يجب أن يعلم أن النبى صلى الله عليه و سلم بين لأصحابه معانى القرآن كما بين لهم ألفاظه فقوله تعالى [لتبين للناس ما نزل اليهم] يتناول هذا و هذا ، و قد قال أبو عبد الرحمن السلمى[1] حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن كعثمان بن عفان ، و عبد الله بن مسعود وغيرهما ؛ أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى صلى الله عليه و سلم عشر آيات

(١) هو عبد الله بن حبيب التابعى المقرئ المتوفى سنة ٧٢ هـ و هو غير أبى عبد الرحمن السلمى الصوفى المتوفى ٤١٢ هـ .

لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم و العمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم و العمل جميعا] . ولهذا كانوا يبقون مدة فى حفظ السورة .

قال أنس : [كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا] رواه أحمد فى مسنده ، و أقام ابن عمر على حفظ البقرة ثمان سنين ، أخرجه مالك فى الموطأ و ذلك أن الله تعالى قال : [كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته] و قال [أفلا يتدبرون القرآن] وتدبر القرآن بدون فهم معانيه لا يتأتى ، و أيضا فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا فى فن من العلم كالطب و الحساب و لا يستشرحوه . فكيف بكلام الله الذى هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم و قيام دينهم و دنياهم .

و من التابعين من أخذ التفسير كله عن الصحابة ، عن مجاهد قال : [عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته ، أستوقفه عند كل آية و أسأله عنها] .

[الاختلاف فيه]

و التفسير بالمأثور يدور على رواية ما نقل عن صدور هذه الأمة وكان الاختلاف بينهم قليلا جدا بالنسبة إلى من بعدهم ، و أكثره لا يعدو أن يكون خلافا فى التعبير مع اتحاد المعنى ، أو يكون من تفسير العام ببعض أفراده على طريق التمثيل ، قال ابن تيمية : [والخلاف بين السلف فى التفسير قليل ، و غالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد . و ذلك نوعان : أحدهما : أن يعبر واحد منهم عن المراد

بعبارة غير عبارة صاحبـــه تدل على معنى فى المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى ، كتفسيرهم [الصراط المستقيم] قال بعضهم : القرآن أى اتباعه ، و قال بعضهم : الاسلام . فالقولان متفقان لأن دين الاسلام هو اتباع القرآن ، و لكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر .

الثانى : أن يذكر كل منهما من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل و تنبيه المستمع على النوع و مثاله ما نقل فى تفسير قوله تعالى : [ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا] الآية و قد أسهبنا القول فى تفسيرها كما تقدم .

و قد يكون الاختلاف لاحتمال اللفظ أمرين كلفظ [عسعس] الذى يراد به إقبال الليل و ادباره .

[حكم التفسير بالمأثور]

التفسير بالمأثور هو الذى يجب اتباعه و الأخذ به لأنه طريق المعرفة الصحيحة و هو آمن سبيل للحفظ عن الزلل و الزيغ فى كتاب الله ، و قـــد روى عن ابن عباس أنه قال : [التفسير على أربعة اوجه وجه تعرفه العرب من كلامها ، و تفسير لا يعذر أحد بجهالته ، و تفسير يعلمه العلماء ، و تفسير لا يعلمه أحد إلا الله] .

فالذى تعرفه العرب هو الذى يرجع فيه الى لسانهم ببيان اللغة و الذى لا يعذر أحـــد بجهالته : هو ما يتبادر فهم معناه إلى الأذهان من النصوص

المتضمنة شرائع الأحكام و دلائل التوحيد و لا لبس فيها فكل امرىء يدرك معنى التوحيـــد من قوله تعالى : [فاعلم أنه لا إله الا الله[1]] و إن لم يعلم أن هذه العبارة وردت بطريق النفى و الاستثناء فهى دالة على الحصر .

و أما ما لا يعلمه إلا الله فهو المغيبات ، كحقيقة قيام الساعة ، و حقيقة الروح .

و أما ما يعلمـــه العلماء : فهو الذى يرجع إلى اجتهادهم المعتمد على الشواهد و الدلائل دون مجرد الرأى ، من بيـان مجمل أو تخصيص عام أو نحو ذلك .

(١) سورة القتال رقم : ١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

(مناهج المفسرين بالمأثور)

١ ـ تنوير المقباس لابن عباس .

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه :

يمتاز ابن عباس برجوعه فى فهم معانى ألفاظ القرآن الكريم إلى الشعر العربى ، لمعرفته بلغة العرب و إلمامه بديوانها . وتتعدد الروايات عن ابن عباس ، وتتفاوت صحة وضعفا ، وقد تتبع العلماء هذه الروايات وكشفوا عن مبلغها من الصحة .

٢ ـ جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى .

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه :

وهو تفسير عظيم القيمة ، لا غنى لطالب العلم عنه ، قال السيوطى : [و كتابه ـ يعنى تفسير محمد بن جرير ـ أجل التفاسير و أعظمها ، فانه يتعرض لتوجيه الأقوال ، و ترجيح بعضها على بعض ، و الاعراب ، و الاستنباط ، فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين] . و قال النووى : أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى .

طريقة ابن جرير فى تفسيره :

أنه إذا أراد أن يفسر الآية من القرآن يقول : [القول فى تأويل قوله تعالى كذا وكذا] ثم يفسر الآية مستشهدا ما يرويه بسنده الى الصحابة أو التابعين من التفسير بالماثور عنهم و يعرض لكل ما روى فى الآية . و لا يقتصر على مجرد الرواية ؛ بل يوجه الاقوال و يرجح بعضها على بعض كما يتعرض لناحية الاعراب ان دعت الحال الى ذلك ، و يستنبط بعض الأحكام وقد يقف من السند موقف الناقد البصير أحيانا ، فيعدل من رجال الاسناد ، ويجرح من يجرح منهم ، و يرد الرواية التى لا يثق بصحتها ويعتنى ابن جرير بذكر القراءات وتوجيهها ، و يقال انه ألف فيها مؤلفا خاصا ، ومع روايته الأخبار الماخوذة من القصص الاسرائيلى فانه كثيرا ما يتعقبها بالبحث .

ويعتمد ابن جرير على الاستعمالات اللغوية بجانب الروايات المنقولة ، ويستشهد بالشعر القديم ؛ ويهتم بالمذاهب النحوية و يحتكم إلى المعروف من لغة العرب ، و يعالج الأحكام الفقهية مجتهدا ، فيذكر أقوال العلماء ومذاهبهم ، و يخلص من ذلك برأى يختاره لنفسه و يرجحه .

و يناقش مسائل العقيدة مناقشة فاحصة ، يرد فيها على الفرق ومذاهب أهل الكلام ، وينتصر لأهل السنة والجماعة .

٣ - المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية .

التعريف بهذا الكتاب و طريقة مؤلفه فيه :

كثير الاهتمام بالشواهد الأدبية ، و الصناعة النحوية .

ويقارن ابن حيان فى مقدمة تفسيره بينه وبين تفسير الزمخشرى فيقول : [و كتاب ابن عطية انقل ، و أجمع ، و أخلص ، و كتاب الزمخشرى ألخص و أغوص] . و يعقد ابن تيمية مقارنة بين الكتابين كذلك فيقول : [وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشرى ، و أصح نقلا و بحثا ، و ابعد عن البدع و ان اشتمل على بعضها بل هو خير منه بكثير بل لعله أرجح هذه التفاسير] و يقول ابن تيمية كذلك : [و تفسير ابن عطية و أمثاله أتبع للسنة و الجماعة ، و أسلم من البدعة من تفسير الزمخشرى ، و لو ذكر كلام السلف الموجود فى التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن و أجمل . فانه كثيرا ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبرى و هو من أجل التفاسير و أعظمها قدرا ثم انه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال ، و يذكر ما يزعم أنه قول المحققين و إنما يعنى بهم طائفة من أهل الكلام الذين قدروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم و إن كان أقرب إلى السنة من المعتزلة] .

٤ ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير :

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

من أشهر ما دون فى التفسير بالمأثور ، و ياتى فى المرتبة الثانية بعد كتاب ابن جرير فهو يفسر كلام الله بالاحاديث و الآثار مسندة إلى

اصحابها مع الكلام عما يحتاج اليـه جرحا و تعديلا و ترجيح بعض الاقوال على بعض و تضعيف بعض الروايات و تصحيح بعضها الآخر .

و يمتاز ابن كثير بانه ينبـــه فى كثير من الاحيان الى ما ف التفسير بالمأثور من منكرات الاسرائيليات كما يذكر أقوال العلماء فى الأحكام الفقهية ، و يناقش مذاهبهم و أدلتهم أحيانا .

بسم الله الرحمن الرحيم

(التعريف بأهم كتب المفسرين بالمأثور)

أما هذه الكتب التى وقع عليها الاختيار فى التفسير بالمأثور فهى ما يأتى :

١ - تنوير المقياس من تفسير ابن عباس لابن عباس .

٢ - تفسير ابن عيينة .

٣ - تفسير ابن أبى حاتم .

٤ - تفسير أبى الشيخ ابن حيان .

٥ - تفسير ابن عطية .

٦ - بحر العلوم لأبى الليث السمرقندى .

٧ - الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبى اسحاق .

٨ - جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى .

٩ - تفسير ابن أبى شيبة .

١٠- معالم التنزيل للبغوى .

١١- تفسير القرآن العظيم لأبى الفداء الحافظ ابن كثير .

١٢- الجواهر الحسان فى تفسير القرآن .

١٣- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطى .

١٤- فتح القدير للشوكانى .

بسم الله الرحمن الرحيم

(التعريف بأهم كتب المفسرين بالرأى الجائز)

أما هذه الكتب التى وقع عليها الاختيار ، فهى ما يأتى :

١ ـ مفاتيح الغيب للفخر الرازى

٢ ـ أنوار التنزيل و أسرار التاويل للبيضاوى

٣ ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفى

٤ ـ لباب التأويل فى معانى التنزيل للخازن

٥ ـ البحر المحيط لأبى حيان

٦ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى

٧ ـ تفسير الجلالين للجلال المحلى والجلال السيوطى

٨ ـ السراج المنير فى الاعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربينى

٩ ـ ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لأبى السعود

١٠ ـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم و السبع المثانى . للآلوسى

هذه هى الكتب التى وقع عليها الاختيار وسأتكلم عنها على حسب هذا الترتيب ، فاقول و بالله التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

(منهاج المفسرين) بالرأى الجائز

١ - مفاتيح الغيب للرازى .

ان تفسير الفخر الرازى ليحظى بشهرة واسعة بين العلماء ، و ذلك لأنه يمتاز عن غيره من كتب التفسير بالأبحاث الفياضة الواسعة فى نواح شتى من العلم ، ولهذا يصفه ابن خلكان فيقول : إن الفخر الرازى - جمع فيه كل غريب و غريبة .

موقفه من علوم الفقه و الأصول و النحو و البلاغة :

ان الفخر الرازى لا يكاد يمر بآية من آيات الاحكام الا و يذكر مذاهب الفقهاء فيها ، مع ترويجه لمذهب الشافعى - الذى يقلده - بالادلة والبراهين . وإهتم الفخر الرازى ببيان المناسبات بين آيات القرآن و سوره .

موقفه من المعتزلة :

إنه كسنى يرى ما يراه أهل السنة ، و يعتقد بكل ما يقررونه من مسائل علم الكلام - لا يدع فرصة تمر دون أن يعرض لمذهب المعتزلة بذكر أقوالهم و الرد عليها . ردا لا يراه البعض كافيا و لا شافيا .

٢ - أنوار التنزيل و اسرار التأويل للبيضاوى

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه :

تفسير البيضاوى جمع فيه صاحبه بين التفسير و التاويل على مقتضى قواعد اللغة العربية ، و قرر فيـــه الأدلة على أصول أهل السنة .

و قـــد إختصر البيضاوى تفسيره من الكشاف للزمخشرى ؛ و لكنه ترك ما فيه من اعتزالات ، و ان كان أحيانا يذهب الى ما يذهب اليه صاحب الكشاف و من ذلك أنه عنـد ما فسر قوله تعالى [الذين ياكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس[١]] و جدناه يقول الا قياما كقيام المصروع ، و هو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الانسان فيصرع ، ثم يفسر المس بالجنون . و يقول [و هـذا أيضا من زعمهم أن الجن يمس الرجل فيختلط عقله] و هذا موافق لما ذهب إليه الزمخشرى من أن الجن لا تسلط على الانسان إلا بالوسوسة و الاغواء . كما اننا نجـــد البيضاوى وقع فيما وقع فيـــه صاحب الكشاف ، من ذكره فى نهاية كل سورة حديثا فى فضلها و ما لقارئها من الثواب و الأجر عند الله ، و قد عرفت هذه الأحاديث بانها موضوعة باتفاق أهل الحديث و نحن نستنكر على البيضاوى صنيعه هذا مع ما له من مكانة علمية ، و إن كان بعض الناس قد تلمس له عذرا فذلك لا يكفى لتبرير هذا العمل الذى لا يليق بعالم كهذا . . . .

---

(١) سورة البقرة رقم : ٢٧٥

و قد ضمن تفسيره من أقوال الصحابة و التابعين .. و يندر فيه ذكر الروايات الاسرائيليـــة و خلاصة القول ، فالكتاب من أمهات كتب التفسير ، التى لا يستغنى عنها من يريد أن يفهم كلام الله تعالى ، و يقف على أسراره و معانيه ......

٣ ـ مدارك التنزيل و حقائق التاويل للنسفى .

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه :

هذا التفسير ، اختصره النسفى ـ رحمه الله ـ من تفسير البيضاوى ومن الكشاف للزمخشرى ، غير أنه ترك ما فى الكشاف من الاعتزالات و جرى فيه على مذهب أهل السنة و الجماعة . و هو تفسير وسط بين الطول والقصر جمع فيه صاحبه بين وجوه الاعراب و القراءات و ضمنه ما اشتمل عليـــه الكشاف من النكت البلاغية و المحسنات البديعية و الكشف عن المعانى الدقيقـــة الخفية ، و أورد فيه ما أورده الزمخشرى فى تفسيره من الاسئلة و الأجوبة ، لكن لا على طريقته من قوله : فان قيل ... قلت ، بل جعل ذلك فى الغالب كلاما مدرجا فى ضمن شرحـه للآية كما أنه لم يقع فيما وقع فيـه صاحب الكشاف من ذكره للأحاديث الموضوعة فى فضائل السور .

هذا و قـد أورد النسفى فى مقدمة تفسيره عبارة قصيرة ، أوضح فيها عن طريقته التى سلكها فيه ، وأرى أن أسوقها لك بنصها لتمام الفائدة .

قال رحمه الله : [قد سألنى من تتعين إجابتـــه ، كتابا وسطا فى

التاويلات ، جامعا لوجوه الاعراب و القراءات متضمنا لدقائق علم البديع و الاشارات حافلا بأقاويل أهل السنة و الجماعة ، عاليا عن أباطيل أهل البدع و الضلالة ليس بالطويل الممل ، و لا بالقصير المخل ، وكنت أقدم فيه رجلا و أوخر أخرى ، استقصاراً لقوة البشر عن درك هذا الوطر ، و أخذاً السبيل الحذر عن ركوب متن الخطر ، حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة ، و أتممته فى مدة يسيرة ، و سميته بمدارك التنزيل و حقائق التأويل .

خوضه فى المسائل النحوية :

موقفه من القراءات :

و أما من ناحيـــة القراءات فهو ملتزم للقراءات السبع المتواترة مع نسبة كل قراءة الى قارئها .

خوضه فى مسائل الفقه :

موقفه من الاسرائيليات :

و مما نلحظه على هذا التفسير أنه مقل جـــدا فى ذكره للاسرائيليات و ما يذكره من ذلك يمر عليه بدون أن يتعقبه أحيانا ، و أحيانا يتعقبه و لا يرتضيه .

٤ ـ لباب التأويل فى معانى التنزيل : للخازن

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه :

هذا التفسير اختصره مؤلفـــه من معالم التنزيل للبغوى ، وضم إلى

ذلك ما نقله ولخصه من تفاسير من تقدم عليه ، وليس له فيه - كما يقول - سوى النقل والانتخاب ، مع حذف الأسانيد وتجنب التطويل والاسهاب .

وهو مكثر من رواية التفسير بالمأثور الى حد ما يعنى بتقرير الأحكام وأدلتها ، مملوء بالأخبار التاريخية ، والقصص الاسرائيلى الذى لا يكاد يسلم كثير منـــه أمام ميزان العلم الصحيح و العقل السليم وأرى أن أسوق هنا ما قاله الخازن نفسه فى مقدمة تفسيره ، مبينا به طريقته التى سلكها ، ومنهجه الذى نهجه فيه ، و فيها غنى عن كل شىء . قال رحمه الله تعالى [ولما كان كتاب معالم التنزيل ، الذى صنفه الشيخ الجليل ، والحبر النبيل الامام العالم محى السنة ، قدوة الأمة ، وامام الأئمة ، مفتى الفرق ، ناصر الحـــديث ، ظهير الدين ، أبو محمـــــد الحسين بن مسعود البغوى قدس الله روحه و نور ضريحـــــه - من أجل المصنفات فى علم التفسير و أعلاها و أنبلها و أسناها جامعا للصحيح من الأقاويل ، عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل ، ومحلى بالأحاديث النبوية ، مطرزا بالأحكام الشرعية ، موشى بالقصص الغريبـــة ، وأخبار الماضين العجيبة ، مرصعا بأحسن الاشارات مخرجا بأوضح العبارات مفرغا فى قالب الجمال بأفصح مقال ، فرحم الله تعالى مصنفه و أجزل ثوابه وجعل الجنة متقلبه ومآبه] .

توسعه فى ذكر الاسرائيليات :

عنايته بالأخبار التاريخية :

كذلك نلاحظ على هـذا التفسير أنه يفيض فى ذكر الغزوات التى كانت على عهد النبي صلى الله عليه و سلم وأشار إليها القرآن الكريم .

عنايته بالناحية الفقهية :

عنايته بالمواعظ :

ثم ان هذا التفسير كثيرا ما يتعرض للواعظ والرقاق ، ويسوق أحاديث الترغيب والترهيب ، ولعل نزعة الخازن الصوفية هى التى أثرت فيه لجملته يعنى بهذه الناحية ويستطرد اليها عند المناسبات .

توسعه فى ذكر الاسرائيليات :

حيث يتسع فى ذكر القصص الاسرائيلى . وكثيرا ما ينقـل ما جاء من ذلك عن بعض التفاسير التى تعنى بهذه الناحية ، كتفسير الثعلبي وغيره .

عنايته بالناحية الفقهية : فاذا تكلم عن آية من آيات الأحكام ، استطرد إلى مذاهب الفقهاء فيها وأدلتهم .

٥ ـ البحر المحيط ـ لأبي حيان .

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه:

يقع هـــذا التفسير فى ثمـان مجلدات كبار ، و هو مطبوع و متداول بين أهل العلم و معتبر عندهم المرجع الأول و الأهم لمن يريد أن يقف على وجوه الاعراب لألفاظ القرآن ، إذ أن الناحية النحوية هى أبرز ما فيه من البحوث التى تدور حول آيات الكتاب العزيز ؛ و المؤلف إذ يتكلم عن هذه

الناحية فهو ابن بجدتها و فارس حلبتها ، غير أنه ـ و الحق يقال ـ قد أكثر من مسائل النحو فى كتابه مع توسعه فى مسائل الخلاف بين النحويين ، حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير .

هذا و إن أبا حيان و ان غلبت عليه الصناعة النحوية فى تفسيره الا أنه مع ذلك لم يهمل ما عداها من النواحى التى لها اتصال بالتفسير ، فتراه يتكلم على المعانى اللغوية للمفردات ، و يذكر أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ والقراءات الواردة مع توجيهها ، كما أنه لا يغفل الناحية البلاغية فى القرآن و لا يهمل الأحكام الفقهية عند ما يمر بآيات الاحكام ، مع ذكره لما جاء عن السلف و من تقدمه من الخلف فى ذلك ، كل هذا على طريقة وضعها لنفسه و مشى عليها فى كتابه وذلك حيث يقول : [و ترتيبى فى هذا الكتاب ، أنى ابتدىء أولا بالكلام على مفردات الآية التى أفسرها لفظة لفظة فيما يحتاج إليه من اللغة و الاحكام النحوية التى لتلك اللفظة قبل التركيب ، و اذا كان للكلمة معنيان أو معان ذكرت ذلك فى أول موضع فيه تلك الكلمة لينظر ما يناسب لها من تلك المعانى فى كل موضع تقع فيه فيحمل عليه ، ثم أشرح فى تفسير الآية ذاكرا سبب النزول اذا كان لها سبب ، و نسخها ، و مناسبتها ، و ارتباطها بما قبلها ، حاشدا فيها القراءات ، شاذها و مستعملها ذاكرا توجيه ذلك فى علم العربية ، ناقلا تاويل السلف و الخلف فى فهم معانيها متكلما على جليها و خفيها ، بحيث أنى لا أغادر منها كلمة و ان اشتهرت

حتى أتكلم عليهـا ، مبديا ما فيها من غوامض الاعراب ؛ و دقائق الآداب من بديع و بيان الخ .

هذا و إن أبا حيان يعتمد فى أكثر نقول كتـابه هذا - كما يقول - على كتاب التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير ، من جمع شيخه الصالح المقدسى القدوة الأديب ، جمال الدين أبى عبد الله محمد بن سليمان بن حسن بن حسين المعروف بابن النقيب ، رحمه الله . إذ هو أكبر كتاب صنف فى علم التفسير و نهاية القول ، فأن أبا حيان قد غلبت عليه فى تفسيره الناحية التى برز فيها وبرع فيها و هى الناحية النحوية التى طغت على ما عداها من نواحى التفسير .

٦ - غرائب القرآن و رغائب الفرقان : للنيسابورى .

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه :

اختصر النيسابورى تفسيره هذا من التفسير الكبير للفخر الرازى ، وضم الى ذلك بعض ما جاء فى الكشاف وغيره من التفاسير ، و ما فتح الله به عليـــه من الفهم لمحكم كتابه ، وضمنه ما ثبت لديه من تفاسير سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين .

موقفه من الزمخشرى والفخر الرازى :

وهو إذ يختصر كلام الفخر الرازى أو يقتبس من تفاسير الكشاف وغيره لا يقف عند النص وقوف من يجمد عند النصوص و يرى أنها ضربة لازب عليه فلا يعترض و لا يتصرف ، بل نجده حرا فى تفكيره ، متصرفا

فيما يختصر أو يقتبس ، فان وجد فسادا نبه عليه وأصلحه ، و ان رأى نقصانا تداركه فأتمه و أكمله .

كثيرا ما نجده ينقل عن الكشاف فيقول : قال فى الكشاف كذا وكذا .... وقد ينقل ما ذكره صاحب الكشاف وما اعترض به عليه الفخر الرازى ثم ينصب نفسه حكما بين الامامين ، و يبدى رأيه على حسب ما يظهر له .

منهجه فى التفسير :

ثم إننا نجد الامام النيسابورى ، قد سلك فى تفسيره مسلكا قد يكون منفردا به من بين المفسرين ، ذلك أنه يذكر الآيات القرآنية اولا ثم يذكر القراءات ، مع التزامه ألا يذكر الا ما كان منها منسوبا إلى الأئمة العشرة ، و اضافة كل قراءة إلى صاحبها الذى تنسب اليه ، ثم بعد ذلك يذكر الوقوف مع التعليل لكل وقف منها ثم بعد ذلك يشرح فى التفسير مبتدئا فى ذكر المناسبة وربط اللاحق بالسابق مع عناية كبيرة بذلك سرت إليه من التفسير الكبير للفخر الرازى ، ثم بعد ذلك يبين معانى الآيات باسلوب بديع يشتمل على ابراز المقدرات واظهار المضمرات وتاويل المتشابهات وتصريح الكنايات و تحقيق المجازات و الاستعارات ، و تفصيل المذاهب الفقهية مع توجيه أدلة كل مذهب و ما حملت عليه الآية القرآنية ، لتكون مؤيدة لمذهب من المذاهب أو غير متعارضة معه و لا منافية له .

خوضه فى المسائل الكلامية :

خوضه فى المسائل الكونية والفلسفية :

النزعة الصوفية فى تفسير النيسابورى :

ليس فى تفسير النيسابورى ما يدل على تشيعه ، هذا وقد نوه صاحب روضات الجنات بمكانة هذا التفسير فقال : [و تفسيره يريد النيسابورى من أحسن شروح كتاب الله المجيد وأجمعها للفوائد اللفظية و المعنوية ، وهو قريب من تفسير مجمع البيان كما وكيفا وسمة و ترتيبا بزيادة أحكام الاوقات فى أوائل تفسير الآى ومراتب التأويل فى آخره و الاشارة الى جملة من دقائق نكات العربية .

٧ - تفسير الجلالين :

لجلال الدين المحلى و جلال الدين السيوطى -

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه :

اشترك فى هذا التفسير - كما قلنا - الامامان الجليلان ، جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى .

أما جلال الدين المحلى فقد ابتدأ تفسيره من أول سورة الكهف الى آخر سورة الناس ثم ابتدأ بتفسير الفاتحة و بعد أن أتمها وافته المنية فلم يفسر ما بعدها .

و أما جلال الدين السيوطى ، فقد جاء بعد الجلال المحلى فكمل

تفسيره ، فابتدأ بتفسير سورة البقرة ، وانتهى عند آخر سورة الاسراء و وضع تفسير الفاتحة فى آخر تفسير الجلال المحلى لتكون ملحقة به .

هذا هو الواقع . و لا أظن صاحب كشف الظنون مصيبا حيث يقول عند الكلام على تفسير الجلالين ما نصه [تفسير الجلالين من أوله إلى آخر سورة الاسراء للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلى الشافعى المتوفى سنة ٨٦٤ هـ ولما مات كمله الشيخ المتبحر جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ] وحيث يقول بعد ذلك بقليل وكان المحلى لم يفسر الفاتحة وفسرها السيوطى تفسيرا مناسبا . انتهى .

٨ - السراج المنير

فى الاعانة على معرفـــة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير - للخطيب الشربينى

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه :

ذكر مؤلف هذا الكتاب فى مقدمتـــه : أن أئمة السلف ألفوا فى التفسير كتبا كل على قدر فهمه و مبلغ علمه ، و أنه خطر له أن يقتفى أثرهم و يسلك طريقتهم و لكنـــه تردد فى ذلك مدة من الزمن ، مخافة أن يدخل تحت الوعيد الوارد فى حق من فسر القرآن برأيه أو بغير علم ، ثم ذكر أنه استخـار الله تعالى فى حضرته ، بعـــد أن صلى ركعتين فى روضته و سأله أن يشرح صدره لذلك و ييسره له ، فشرح الله صدره ، ولما رجع من سفره

كتم ذلك فى سره ، حتى قال له شخص من أصحابه : أنه رأى فى المنام النبي صلى الله عليه و سلم أو الشافعى يقول : قل لفلان يعمل تفسيرا على القرآن و ذكر المؤلف أنه لم يمض عليه إلا القليل حتى قرر فى وظيفة مشيخة تفسير فى البيرستان و ذكر أن جملة من اصحابه ممن لهم شغف بالعلم طلبوا منه بعد فراغه من شرح منهاج الطالبين ، أن يعمل لهم تفسيرا وسيطا بين الطول الممل و القصر المخل ، فأجابهم إلى ذلك متمثلا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، حيث قال فيما يرويه عنه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : [ان رجالا يأتونكم من أقطار الارض يتفقهون فى الدين ، فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا] .

و ذكر انه اقتصر فيه على أرجح الأقوال ، و اعراب ما يحتاج إليه عند السؤال ، و ترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية و أعاريب محلها كتب العربية ، و ذكر أن ما يذكره فيه من القراءات فهو من السبع المشهورات .

موقفه من القراءات و الاعاريب و الحديث .

و قد وفى فيه صاحبه بما وعد فلم يذكر من القراءات الا ما تواتر منها .

اهتمامه بالنكت التفسيرية ومشكلات القرآن :

عنايته بالمناسبات بين الآيات :

موقفه من المسائل الفقهية :

إنه يستطرد إلى ذكر الأحكام الفقهية ، و مذاهب العلماء و أدلتهم .
كثرة نقوله عن تفسير الفخر الرازى :

خوضه فى الاسرائيليات :

هذا و لم يخل تفسير الخطيب ، من ذكر بعض القصص الاسرائيلى و ذلك بدون أن يتعقبه بالتصحيح أو التضعيف .

٩ ـ ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لأبى السعود
التعريف بهذا التفسير وطريقة مولفه فيه :

إن صاحب هذا التفسير شغل كثيرا بالتدريس و القضاء و الفتوى و لكنه اختلس فرصا من و قته ألف فيها كتابه فى التفسير ، و المؤلف نفسه يقرر هذا فى مقدمة تفسيره ، و لم يعرف أنه أخرج تفسيره للناس دفعة واحدة بل ذكر أنه ابتدأ فيه فلما وصل إلى آخر سورة [ص] عرض له من الشواغل ما جعله يتوقف فى تفسيره عند هذا الحد فبيض ما كتب فى شعبان سنة ٧٣ ﻫ ثم أرسله الى الباب العالى . فتلقاه السلطان خان بحسن القبول ، و انعم عليه بما أنعم و زاد فى وظيفته كل يوم خمسمائة درهم ثم تيسر له بعد ذلك اتمامه ، فاتمه بعد سنة ، ثم أرسله إلى السلطان ثانيا بعد اتمامه فقابله السلطان بمزيد لطفه و إنعامه و زاد فى وظيفته مرة أخرى .

و الحق أن هذا التفسير غاية فى بابه ، و نهاية فى حسن الصوغ وجمال التعبير كشف فيه صاحبه عن اسرار البلاغة القرآنية بما لم يسبقه أحد إليه

و من أجل ذلك ذاعت شهرة هذا التفسير بين أهل العلم ، و شهد له كثير من العلماء بأنه خير ما كتب فى التفسير .

و من هنا يتبين لنا أن أبا السعود يعتمد فى تفسيره على تفسير الكشاف و البيضاوى و غيرهما ممن تقدمه .

عنايته بالكشف عن بلاغة القرآن و سر إعجازه .

إهتمامه بالمناسبات و إلمامه ببعض القراءات .

إقلاله من رواية الاسرائيليات .

إقلاله من ذكر المسائل الفقهية .

تناوله لما تحتمله الآيات من وجوه الاعراب .

و بالجملة فالكتاب بحق دقيق غاية الدقة ؛ بعيد عن خلط التفسير بما لا يتصل به غير مسرف فيما يضطر إليه من التكلم عند بعض النواحى العلمية و هو مرجع مهم يعتمد عليه كثير ممن جاء بعد من المفسرين .

١٠ - روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم و السبع المثانى للآلوسى

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه :

ذكر مؤلف هذا التفسير فى مقدمته أنه منذ عهد الصغر ، لم يزل متطلبا لاستكشاف سر كتاب الله المكتوم ، مترقبا لارتشاف رحيقه المختوم ، و أنه طالما فارق نومه لجمع شوارده ، و فارق قومه لوصال خرائده لا يرفل فى مطارف اللهو كما يرفل أقرانه ، و لا يهب نفائس الاوقات لخسائس

الشهوات كما يفعل اخوانه ، و بذلك وفقه الله للوقوف على حقائقه .

مكانة هذا التفسير من التفاسير التى تقدمته :

ان هذا التفسير ـ و الحق يقال ـ قد افرغ فيه مؤلفه وسعه و بذل مجهوده حتى أخرجه للناس كتابا جامعا لآراء السلف رواية و دراية مشتملا على أقوال الخلف بكل أمانة و عناية فهو جامع لخلاصة كل ما سبق من التفاسير .

موقف الآلوسى من المخالفين لأهل السنة :

و الآلوسى سلفى المذهب سنى العقيدة ، ولهذا نراه كثيرا ما يفند آراء المعتزلة والشيعة ، وغيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهبه .

الآلوسى و المسائل الكونية :

و مما نلاحظه على الآلوسى فى تفسيره ؛ أنه يستطرد إلى الكلام فى الأمور الكونية و يذكر كلام أهل الهيئة و أهل الحكمة ؛ ويقر منه ما ترتضيه ، ويفند ما لا يرتضيه .

كثرة استطراده للمسائل النحوية :

موقفه من المسائل الفقهية :

تجده إذا تكلم عن آيات الأحكام فانه لا يمر عليها إلا إذا استوفى مذاهب الفقهاء وأدلتهم مع عدم تعصب منه لمذهب بعينه .

موقفه من الاسرائيليات :

و مما نلاحظه على الآلوسى أنه شديد النقد للاسرائيليات و الأخبار المكذوبة التى حشا بها كثير من المفسرين وظنوها صحيحة مع سخرية منها أحياناً.

تعرضه للقراءات و المناسبات و أسباب النزول :

إن الآلوسى يعرض لذكر القراءات ولكنه لا يتقيد بالمتواتر منها كما أنه يعنى باظهار وجه المناسبات بين السور ، كما يعنى بذكر المناسبات بين الآيات و بذكر أسباب النزول للآيات التى نزلت على سبب ، وهو كثير الاستشهاد باشعار العرب على ما يذهب إليه من المعانى اللغوية .

الآلوسى و التفسير الاشارى :

و لم يفت الآلوسى أن يتكلم عن التفسير الاشارى بعد أن يفرغ من الكلام عن كل ما يتعلق بظاهر الآيات ، و من هنا عد بعض العلماء تفسيره هذا فى ضمن كتب التفسير الاشارى ، كما عد تفسير النيسابورى فى ضمنها كذلك ولكنى رأيت أن أجعلهما فى عداد كتب التفسير بالرأى المحمود ، نظرا إلى أنه لم يكن مقصودهما الأهم هو التفسير الاشارى بل كان ذلك تابعا ـ كما يبدو ـ لغيره من التفسير بالظاهر ، و هذه ـ كما قلت ـ من مسألة اعتبارية لا أكثر و لا أقل و إنما أردت أن أبين جهتى الاعتبار .

وجملة القول ، فروح المعانى للآلوسى ليس الا موسوعة تفسيرية قيمة . جمعت جل ما قاله علماء التفسير الذين تقدموا عليه مع النقد الحر والترجيح الذى يعتمد على قوة الذهن وصفاء القريحة ، وهو و ان كان يستطرد

الى نواح علمية مختلفة مع توسع يكاد يخرجه عن مهمته كمفسر إلا انه متزن فى كل ما يتكلم فيـه بما يشهد له بغزارة العلم على اختلاف نواحيه وشمول الاحاطة بكل ما يتكلم فيه فجزاه الله عن العلم و أهله خير الجزاء ، إنه سميع مجيب و بعد . . . .

فهذه هى أهم كتب التفسير بالرأى الجائز وهناك كتب أخرى تدخل فى هذا النوع من التفسير ولها أهميتها وقيمتها ، كما أن لها شهرتها الواسعة بين أهل العلم الذين يعنون بالتفسير ، غير أنى أمسكت عنها هنا مخافة التطويل ، ولعدم إمكان الحصول على بعضها و أحسب أن فى هذا القدر كفاية وغنى عن كتب أخرى كثيرة . هذا و الله أعلى و أعلم بالصواب .

و الحمد لله اولا وآخرا . و صلى الله و سلم و بارك على من لا نبى بعده سيدنا محمد و على آله وصحبه و سلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن بيان و معجزة فى آن واحد

إقتضت حكمة الله تبارك و تعالى : أن تكون معجزة الرسالة الخاتمة أو الآية الدالة على صدق الرسول فى التبليغ عن ربه هى القرآن الذى جمع بين البيان الواضح ، و الاعجاز القاطع لحجة العناد و الجحود ، و ذلك ليتهيأ استمرار التبليغ بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستمرار وسائل الاقناع على مر الزمن .

و على هذا لم يكن دليل إعجاز القرآن الكريم قاصرا على الاعجاز البيانى كما كان فى عصر النزول - بل كان جامعا لعدد هائل من دلائل الاعجاز بحيث يواجه كل العصور ، و جميع نواحى النشاط الانسانى فى تفوق معجز . يجذب الى دعوته المزيد من الاجيال .

أقول ان أئمة الكفر أنفسهم شعروا بسلطانه على القلوب - و هو القدر المتاح لهم لادراك إعجازه البيانى - فقالوا لاتباعهم : [لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون] .

وذلك خوفا من سريان الروح التى شعر بها الوليد بن المغيرة حين قال : [إن له لحلاوة و ان عليه لطلاوة و انه لمثمر أعلاه مغدق أسفله

و إنه ليعلو و لا يعلى عليه و إنه ليحطم ما تحته]

و هو نفس الاعجاز الذى ادرك منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجها يناسبه حينما سمع القرآن فى بيت أخته فتهاوى صرح الشرك من قلبه و شمخ صرح الايمان فى كيانه .

و من هذه الروعة التى تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم ، و تلك الهيبة التى تعتريهم عند تلاوته ، أسلم جماعة من كفار العرب عند سماعهم آياته منهم جبير بن مطعم ، فانه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور قال فلما بلغ قوله تعالى : [أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون] الى قوله [المسيطرون] كاد قلبى أن يطير ، و ذلك أول ما وقر الاسلام فى قلبى .

إلى غير ذلك مما هو معلوم لنا فى تاريخ دعوة الاسلام .

لقد صحح القرآن كثيرا من النظريات العلمية التى كانت سائدة فى عصر التنزيل وسجل فى مكان تلك النظريات حقائق ثابتة لا تقبل التبديل و لا التغيير ، فكان ذلك إلى جانب استعمال القرآن للحقائق الكونية فى الدعوة الى الخالق الحكيم المبدع تحديا للعقل البشرى باحقاق الحق مكان الباطل على يد رسول أمى ما كان يتلو كتابا و لا يخطه بيمينه .

وصدق الله تعالى الذى تحدى العالم كله فى كل العصور فى معرض الدلالة على وحدانيته وتفرده بالسلطان ، و ذلك حينما قرر قيام دولة الاسلام

على الأرض وعجز كل القوى العالمية عن أن تقضى على بجدها فقال : [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا] .

و قال : [إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون] .

مؤامرات العالم على الاسلام وصموده شامخا أمام المؤامرات بل واتساع سلطانه على القلوب أعظم دليل وأصدق برهان على اتساع مدى الاعجاز القرآنى إلى جانب إقناع البيان وتجاوز هذا الاعجاز نطاق البلاغة والفصاحة ، و تصحيح النظريات العلمية ، والتنبوء بالمستقبل إلى نطاق السياسة و الاجتماع والعلوم التجريبية كلها . أما والرسول العظيم يأبى أن تكون الشمس فى يمينه والقمر فى يساره إلا أن يظهر دين الله ، فالأمر إذن فوق جودة الأسلوب ـ و فوق كل الاعتبارات . و ذلك هو : اذعان العرب عاجزين ، أو انقيادهم مختارين الى تلك العظمة القرآنية التى تفوق مقاييس العظمة الاسلوبية المتعارفة آنذاك وكانت ناقة صالح ، و عصا موسى و بقية آياته التسع ، و إحياء الموتى على يد عيسى عليهم السلام آيات مؤيدات لبيان اللسان وحجة العقل وتحديا لأهل العناد بأن قوة عظمى تحكم الكون غير قوة المادة .

كما تحدى موسى سحر قومه بعصاه وعيسى طب عصره باحياء الموتى

وآمن الكثيرون حينما تأملوا وتدبروا وعاينوا المعجزة بالقلوب .

فالاعجاز على أى حال هو - وسيلة إيمان ، ووسيلة ضلال - [يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين] .

من هنا كان وجه من وجوه عظمة القرآن هو أن يجمع بين البيان والاعجاز فلا تكون الآية الدالة على صدق الرسول منفصلة عن البيان كما كان ذلك فى رسالة موسى وعيسى عليهما السلام ، اذ كانت آية موسى التسع واحياء المسيح للموتى شيئا منفصلا تماما عن صلب التوراة والانجيل. أما القرآن فلما كان مصدقا للتوراة والانجيل ومهيمنا عليهما ، وجامعا لحقائقهما ، فقد اجتمع فى صلبه البلاغ المبين والاعجاز القائم مدى الدهر ، وما ذاك الا لأنه كتاب لم ينزل لهداية العرب خاصة وإنما نزل لهداية البشرية كلها فى عصر الرسول وبعد عصره وإلى أن تقوم الساعة . فلو انفصلت آية صدق الرسول عن نفس القرآن كما حدث فى الرسالات السابقة فمن الذى كان يأتى الناس بهذه الآية التى هى المعجزة بمعناها الاصطلاحى الآن ؟ يعنى أنه إذا ارتاب قوم فى صدق النبي صلى الله عليه وسلم فى عصرنا الحاضر فمن أين نأتى بالرسول ليطالبوه بمعجزة مادية تدل على صدقه ؟ ولهذا كان القرآن نفسه بيانا ومعجزة فى آن واحد ولم تكن مادة إعجازه شيئا واحدا بحيث لا تلائم الا عصرا واحدا ، أو مجموعة من الاجيال بعينها بل كانت مواد إعجازه كامنة فى أطوائه ، وكلما تقدم المنكرون الجاحدون فى العلم المادى انكشف من وجوه إعجازه

وجه يقمع ضلالات الكفر ، و يهدى إليه الألوف المؤلفة فى كل عصر ، و هو ما نشهده الآن و قبل الآن و ما تشهده الأجيال بعد الآن باذن الله .

و قد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى فى حديث أخرجه البخارى عنه قال : [ما من الأنبياء نبي الا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، و إنما كان الذى اوتيته وحيا أوحاه الله إلى فارجو أن أكون أكثرهم تابعا] .

قال فى معناه : إن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم ، فلم يشاهدها إلا من حضرها ، ومعجزة القرآن باقية الى يوم القيامة ، وخرقه للعادة فى أسلوبه وبلاغته واخباره بالمغيبات ثابت ، فلا يمر عصر من الأعصار الا ويظهر فيه شيء مما أخبر أنه سيكون ، ليدل على صحة دعواه .

و المعجزات كانت حسية تشاهد بالأبصار ، و معجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه فيها أكثر ، فما يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهديه ، وما يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرا .

و من هنا كان استبطان القرآن للبيان و الاعجاز معا فى وقت واحد دليلا على صدقه وعالمية رسالته .

المراجع

١ ـ الاتقان فى علوم القرآن — شيخ الاسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى

٢ ـ البرهان فى علوم القرآن — للامام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشى

٣ ـ مباحث فى علوم القرآن — الدكتور صبحى الصالح

٤ ـ مناهل العرفان فى علوم القرآن — الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى

٥ ـ مناهج الجدل فى القرآن الكريم — الدكتور زاهر عواض الألمعى

٦ ـ الأحكام والنسخ فى القرآن الكريم — الشيخ محمد حمزة

٧ ـ القراءات القرآنية — الدكتور عبد الهادى الفضلى

٨ ـ أسرار ترتيب القرآن — للحافظ جلال الدين السيوطى

٩ ـ معانى القرآن — الامام أبوالحسن سعيد بن مسعدة البصرى

١٠ ـ نظرات تحليلية فى القصة القرآنية — الشيخ محمد المجذوب

١١ ـ الاشارات العلميـــة فى القرآن الكريم	الشيخ محمد وفا الاميرى
١٢ ـ الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه	لأبى محمد مكى بن أبى طالب القيسى
١٣ ـ النشر فى القراءات العشر	للامام محمد بن الجزرى
١٤ ـ طيبة النشر فى القراءات العشر	للامام محمد بن الجزرى
١٥ ـ حرز الأمانى ـ المعروف بالشاطبية	للامام أبى القاسم بن فيره الشاطبى
١٦ ـ ارشاد المريد	للشيخ على محمد الضباع
١٧ ـ البدور الزاهرة	للشيخ عبد الفتاح القاضى
١٨ ـ أصول القراءات	الشيخ صابر حسن محمد أبو سليمان
١٩ ـ لمحات فى علوم القرآن	الشيخ محمد على الضباع
٢٠ ـ اتحاف فضلاء البشر	لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمـــد الدمياطى الشهير بالبناء

تابع قائمة المراجع

٢١ ـ مقدمتان فى علوم القرآن — تحقيق الدكتور آرثر جفرى

٢٢ ـ التبيان فى أقسام القرآن — العلامة شمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية .

٢٣ ـ الجديد فى أحكام التجويد — الشيخ ابراهيم عبد الرزاق أبو على

٢٤ ـ اعجاز القرآن — عبد الكريم الخطيب

٢٥ ـ اعجاز القرآن — للباقلانى

٢٦ ـ التفسير و المفسرون — محمد حسين الذهبى

٢٧ ـ مباحث فى علوم القرآن — مناع القطان

٢٨ ـ أسرار التكرار فى القرآن — لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى .

شكر وتقدير

أما بعد !

فانى أتوجه باجزل الشكر الى ـ ادارة مدرسة ثانوية تحفيظ القرآن الكريم بالرياض حيث شجعتنى ومكنتنى من المضى فى هذا السبيل .

كما أشكر كل من عاوننى فى هذا الكتاب برأيه ، أو بامدادى بالكتب أو بسعيه أو بقراءته و الاقبال عليه أو بتقديره وتشجيعى على المضى فيه .

و ارجو كل من يطلع عليه أن يلتمس لى العذر ان كنت قصرت ، و أن يرشدنى الى الصواب ان كنت اخطأت ، و يعلم الله اننى ـ حاولت جهد طاقتى فى تبسيط الأسلوب ، و سبك اللفظ ، و جودة العبارة ، و وضوح المعنى ، و حسن الاخراج ، و لعلى سددت أو قاربت ، و على كل حال فالعود أحمد ان شاء الله و أستغفر الله من كل خطيئة و زلل ، و أساله أن يقابل بالقبول ما وفقنا اليه من نافع العلم و صالح العمل ، و أن يصلح منا جميعا الحال و المآل ، و أن يحقق للاسلام و المسلمين جميع الآمال .

و الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و آله و صحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين و سلام على المرسلين ، و الحمد لله رب العالمين ؟

(خاتمة)

و هذا آخر ما يسره الله تبارك و تعالى من جمع كتابنا هـذا المسمى [بمورد الظمآن] فى علوم القرآن ـ والله أسال أن يعم به النفع وأن يتقبله منى عملا خالصا لوجهه الكريم ، و أن يكون حجة لى يوم القيامة وكفة راجحة فى ـ ميزان أعمالى ـ يوم يقوم الناس لرب العالمين انه ـ على ما يشاء قدير ، و بالاجابة جدير ، وهو حسبى و نعم الوكيل ، و لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وكان الفراغ من تأليفه يوم الاثنين ليلة الثلاثاء الموافق ١٧ من شهر ربيع الثانى سنة ١٤٠٣ هـ من الهجرة النبوية .

و الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وصلى الله و سلم و بارك على من لا نبى بعده سيدنا محمد و على آله و صحبه وسلم .

المؤلف :
صابر حسن محمد أبو سليمان
مدرس علوم القرآن
بثانوية تحفيظ القرآن الكريم
بالرياض .

(فهرس الكتاب)

فهرس الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

من منشورات

مكتبة ابن تيمية الخيرية للتوعية الاسلامية

هذه أبيات لابراهيم بن الأدهم رحمه الله فى الحث على قيام الليل قال :

قم الليل يا هذا لعلك ترشد — الى كم تنام الليل و العمر ينفد
أراك بطول الليل ويحك نائما — وغيرك فى محرابه يتهجد
أترقد يا مغرور و النار توقد — فلا حرها يطفى ولا الجمر يخمد
ألا إنها نار يقال لها لظى — فتظلم أحيانا و حينا توقد
فياراكب العصيان ويحك خلها — ستحشر عطشانا و وجهك أسود
ولو علم البطال ما نال زاهد — من الأجر والاحسان ما كان يرقد
فصام و قام الليل و الناس نوم — و يخلو برب واحد يتعبد
بعزم وحزم و اجتهاد و رغبة — و يعلم ان الله ذو العرش يعبد
فلو كانت الدنيا تدوم لأهلها — لكان رسول الله حيا يخلد
فكم بين مشغول بطاعة ربه — وآخر بالذنب الثقيل مقيد
فهذا سعيد فى الجنان منعم — و ذاك شقى فى الجحيم مخلد
كأنى بنفسى فى القيامة واقف — وقد فاض دمعى والمفاصل ترعد
وقد نصب الميزان للفصل والقضا — وقد قام خير العالمين محمد
الى الله يرجو لطفه تحت عرشه — بكل دعاء صالح وهو ساجد
ليشفع عند الله فى أهل موقف — توالت على العاصين فيه الشدائد
فصل الهى كل يوم وليلة — على أحمد المختار ماحن راعد
مع الآل والأصحاب ما قال قائل — قم الليل يا هذا لعلك ترشد